حكاية..

هذيان

خارجة عن المألوف

فريق متميزون

E-BOOK

محمد الناصر

الطبعة الثالثة

يوفا بلس للنشر والتوزيع

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

هذيان

محمد الناصر

عن الكتاب..

هذا البيت القديم تعيش به حكاية، تعيش به أشياء تنتظر الإجابات، تنتظر منا أن ننفض من عليها ذلك الغبار العتيق، لكشف أسراره التي ماتت في تلك الغرفة المحروقة، ونكتشف به تلك الأقنعة التي ارتداها أصحابه عنوة، ذاك الصراخ يأتي من بعيد، يأتي مكتوما من إحدى تلك الغرف، يبدو أن هناك حكاية تعيش ما بين حيطانه، حكاية خارجة عن المألوف.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إهداء

لكل من أحب هذه الكلمات، وعشق هذا الخيال، ودعم وشجع كل كلمة كتبتها في هذا الكتاب أو في الإصدارات السابقة.. فأنا بفضل تشجيعكم، من بعد توفيق الله عز وجل، وصلت إلى ما أنا فيه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مقدمة

أكره المقدمات .. لذلك دعونا ندخل في الحكاية سريعاً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخوف لا يحب منتظريه، فهو دائماً ما يكون مفاجئاً.

لا تصدق كل ما أكتبه، فإنه مجرد هذيان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

1

وقفت أمام ذلك المنزل، ذي التصميم الهندسي، الذي يعود الى بداية حقبة التسعينيات، كانت الشمس وقتها ترمي خيوطها الدافئة، وهي تميل ناحية الغرب، ذلك البيت الذي بان عليه الكثير من الإهمال، بسبب حالته الخارجية التي يرثى لها، كون أسواره تآكلت، وشبابيكه تحطمت بفعل فاعل أو بعامل الزمن، كل شيء يوحي لك بأن هذا المنزل لو أتيته ليلاً لن تقف أمامه حتى ولو دقيقة واحدة، رغم أن جدرانه الخارجية البيضاء المائلة قليلا الى اللون البني، تؤكد أنه كان منزلا جميلا في الماضي، بسبب موقعه الجغرافي الرائع الذي يطل على واجهتين، ناهيك عن المساحة الكبيرة التي أمامه، وشرفاته البيضاء البارزة التي تآكلت أصباغها، بينما ملأ الصدأ حديد النوافذ، التي صُممت بشكل هندسي بارع، إضافة إلى تلك الحديقة الواسعة التي لم يتبقَ منها سوى بعض الشجيرات العارية من الأوراق والبارزة بشكل مخيف، وهناك بعض الحقول التي على ما يبدو أنها كانت تعج بالعديد من النباتات والأزهار الجميلة في السابق، واليوم لا أرى أمامي سوى مساحات خاوية غير مرتبة غطتها الأتربة، ونمت على جوانبها بعض النباتات الصحراوية المتطفلة، فيما وقف الباب أمامي بلونه الذهبي شامخا متزيناً بتلك النقوش الحديدية البارزة على واجهته، كأن عروق الزمن قد تجمدت عليه.

هذا البيت الكائن في «الدسمة» [1]، إحدى المناطق القديمة بالكويت، التي تعج بالعديد من المنازل القديمة، حيث حاول أهلها إعادة تجديدها، فيما قرر البعض الآخر هجرتها كون ساكنها الأصليين قد رحلوا عن الحياة.

لا أدري ما الذي حصل هنا قبل عشرة أعوام، الكثير من الأسئلة يعج بها رأسي، لماذا أهله هجروه وجعلوه يظهر بهذه الصورة البالية؟ لماذا انتهى الحال بهذا البيت إلى ما هو عليه الآن؟

الأمر الوحيد الذي استنتجته أن هذا البيت يحمل وراءه قصة غريبة، وربما تكون حزينة جعلت أهله يهجرونه، ومن الممكن أيضا أن تكون هناك حكاية غامضة!

كنت وقتها أركز نظري على هذا البنيان الضخم، بينما كان صاحبه يتقدم نحوي بعدما قام بإخراج بعض الأوراق الخاصة بعقد الإيجار من سيارته.

- أريد أن أكون صادقا معك.. قالها صاحب المنزل ببعض من القلق.

التفتُّ إليه بعد أن قطع شرود ذهني بهذا المنزل الذي يشبه إلى حد كبير القصور القوطية القديمة.

- تفضل قل ما عندك.

قالها وهو ينظر ناحية البيت وشعرت حينها أنه مرتبك.

- لا أعرف كيف أبدأ حديثي معك، لكن لا أريد استغفالك، هذا المنزل تدور حوله العديد من الحكايات الغريبة والمخيفة، وأهل هذا الشارع يعرفونه جيدا.

ثم زفر بقليل من الحسرة وأكمل حديثه:

- اشتريت هذا المنزل من أحد تجار العقار، كنت أظن أنني ذكي جدا، بعدما ابتعته بثمن بخس، راسماً بعض الأحلام على بيعه بعد فترة وجيزة والربح منه، لكنني كنت مغفلا، فمنذ ثلاث سنوات وهذا المنزل ملتصق بي، لا أعرف كيف أبيعه، أو أستأجره أو حتى أستفيد منه، فسمعته السيئة والمخيفة يعرفها كل تجار العقار.

أعتقد أن الأمور الآن أصبحت واضحة جدا لديك.

بعدها صمت الرجل وراح ينظر الى عيني مترقبا أي ردة فعل سلبية مني.

ابتسمت وقلت:

- أعرف جيدا كل تلك المعلومات التي قلتها، فأنا أبحث عن منزل بتلك المواصفات التي ذكرتها.

تبدو الأمور لديكم إلى الآن غير واضحة، وفي نفسكم تقولون من هذا الغبي الذي يريد العيش في منزل سمعته السيئة تسبقه كونه «مسكوناً»، والجميع يعلم بعد حديث صاحب المنزل لي قبل قليل، إن هناك العديد من الأمور الغريبة التي تحدث به، بل إن هناك حكايات بالغة الغموض يتحدث بها أغلب الناس الذين يعيشون في هذا الشارع.

أُدعى كما هو مذكور في البطاقة المدنية خالد أحمد، أبلغ من العمر 34 عاماً، وأعمل في القطاع النفطي، وفي الوقت نفسه مؤلف قصص وروايات .. أتمنى التركيز على آخر نقطة فهي المهمة كثيرا، لأنها مرتبطة بشكل كبير بباقي الحكاية.

أُصنّف من بين الكُتّاب درجة ثالثة، وربما درجة رابعة، صدر لي سابقا أربع روايات، لكن للأسف جميعها لم تحقق النجاح المنشود، لا أعلم ما أسباب عدم نجاحها، مع أنني كنت أدفع آلاف الدنانير للإعلان، لكن كل هذا لا يجدي ويفشل الكتاب فشلا ذريعا ويحقق مبيعات سيئة.

فكرت كثيرا، ولم أجد إجابة واحدة، ربما عدم وسامتي هي السبب!!

بعدها أصبحت أغلب دور النشر التي أتعامل معها تتهرب مني، ولا تريد حتى التعامل معي، بسبب تكدس كتبي داخل مخازنها، وأصبحت بالنسبة لها مشروعا خاسرا، حتى أنني اقتنعت بأنني كاتبٌ فاشلٌ، وربما حبي للقراءة هو من جعلني أفكر في إصدار الكتب، ويبدو أنني خدعت نفسي بعدما ظننت أنني أملك موهبة التأليف!

إلا أن أحد الأصدقاء الذي دائما ما يدعمني ويحاول تشجيعي، قال لي:

- الكاتب الناجح هو من ينقل أحاسيسه على الورق، ويشعر بها القارئ.

وهذا يعني أنني غير ماهر في نقل تلك الأحاسيس، رغم أنني أكتب في مجال الرعب الذي أعشقه منذ فترة طويلة، الأمر الذي تميزت به بشكل كبير عن أقراني، كوني لا أشعر بالخوف عند مشاهدتي لأفلام الرعب، أو حتى الاستماع الى تلك الحكايات المخيفة منذ كنت صغيرا، وايضا هذه الميزة التي أتمتع بها وراءها قصة حدثت عندما كنت في السابعة من عمري، بعد إصابة والدتي بشيء غريب جدا أو حالة نفسية جعلتها تتصرف بطريقة غير مألوفة، خاصة عندما تكون نائمة تستيقظ وهي تقول إن أحدهم كان ينام بجانبها وتشعر بأنفاسه ولهاثه، وتؤكد أن أحدهم يعيش معها بالغرفة، وهذا الأمر يحصل عندما يغيب والدي عن المنزل.

هذا ما كانت تذكره لوالدي، في البداية لم يصدقها، ودائما ما يقول لها إنها مجرد أوهام، لكن تصرفات والدتي تكررت كثيرا، وراحت حالتها تتدهور، بل إن الأمر وصل إلى أنها تشعر بوجود أحدهم يرفع غطاء الفراش عنها وهي نائمة، وتقول إن هناك العديد من الخيالات التي ترتسم على الحائط متشكلة بجسم شخص ضخم يتجسد على حيطان الغرفة، وتؤكد ايضا أنها تسمع أصواتا برأسها، وكلمات متداخلة كأن أحدهم يهذي بلغة غير مفهومة.

وهو ما جعلني أعيش هذه المواقف المرعبة معها لحظة بلحظة، حتى وصل بنا الأمر إلى جلب أحد مشايخ الدين، الذي أكد أن والدتي مصابة بمس، وأنه هو من يقوم بتلك الأشياء، حاول هذا الشيخ استخراج الجن - كما يدعي - الذي يسكن جسد والدتي، لكن الأمر استصعب عليه، كون ذلك الشيء الذي يرافقها قويا جدا.

ليعلن بعدها الشيخ استسلامه نهائياً، كنت أرى والدتي وهي تهلوس وتهذي بأمور غريبة، كما كنت أرى عينيها وهي تتقلب أمامي، كنت أراها تقفز فجأة محاولة صعود حيطان الغرفة وهي تصرخ.

مزاجها متقلب، مرة تجدها في حالتها الطبيعية، ومرات عدة يسوء كثيرا، راح جسمها ينحل ووجها يصيبه الشحوب، رحت أقوم بدور أبي، بعدما ضجر كثيرا

من أفعالها، كونه لم يجد سببا واحدا مقنعا لما تقوم به، كل هذه الأشياء جعلت قلبي يموت، أو أنه اعتاد على مثل هذه الأشياء ولا يتأثر بها أبدا.

وبعد مرور سنة على حالة أمي السيئة، ودخول وخروج الكثير من مشايخ الدين وغيرهم ممن يتعاملون مع الجن، أكد أحدهم أن والدتنا أخذت شيئا مهما منهم، وهي الآن أصبحت موسومة لهم.

لم أفهم في البداية ما معنى موسومة، الأمور اتضحت بعدها لي بشكل كبير، والدتي أخذت شيئا يخص أحد أفراد هذه الكائنات، وعلى إثره أصبحوا يتتبعونها ويترصدون حركاتها، وأيضا في الوقت نفسه يريدونها أن تتقبلهم أو تُرجِع تلك الأشياء التي أخذتها منهم.

راح أبي يبحث ويسأل كل من هو قريب من والدتي، وبالتحديد عن زياراتها الأخيرة، إلا أنه لم يصل إلى إجابة محددة، فالخادمة تقول إنها كانت تتحدث بصوت منخفض في الأيام الأخيرة بالهاتف، بينما صديقاتها اللاتي يعرفن أبي أكدن له أن علاقتهن انقطعت مع والدتي منذ شهرين، لأنها أصبحت تتهرب منهن وكانت تتصرف بشكل غريب، فيما ذكرت إحداهن أن والدتي كانت تشتكي من غياب والدي عن البيت كثيرا في الفترة الأخيرة وهذا الأمر يسبب لها قلقا كبيرا، لكن الذي أثار الشكوك هي الاتصالات من امرأة كانت دائما تطلب والدتي على هاتف المنزل، ووالدتي كانت تتحدث معها بالساعات .. أذكر في إحدى المكالمات أن والدتي قالت لها إنها ستزورها في بيتها، وعلى ما يبدو أن والدتي انتكست إثر هذه الزيارة، وبدأت تحصل معها الحالة التي ذكرتها لكم، وباءت كل محاولات والدي بالفشل في معرفة تلك المرأة التي كانت والدتي على صلة بها، والمصيبة أن والدتي لم تعطِ أبي أي إجابة واضحة، وكانت كل ما تقوله:

- إمرأة لا أعرفها .. حاولت مساعدتي.

لم نصل لا أنا ولا أبي إلى أي نتيجة، فالغموض والحيرة هما حالنا، وقلقنا الشديد عليها هو ما كنا متأثريْن به.

أصبحت والدتي طريحة الفراش، دون أكل أو شرب، تنام كثيرا، وعندما تصحو كانت تهذي بكلمات غير مفهومة، ودائما ما تركز نظرها بشكل مباشر على مكان واحد، كأنها شاردة في شيء ما.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

2

ذات ليلة، استيقظت من النوم على صرخة والدتي، انطلقت الى غرفتها، فوجدتها تقف ووجهها إلى الحائط، ثم ركزت نظرها مرة أخرى الى الأرض، ثم رفعت رأسها وهي تنظر لي بشكل غريب، ومن ثم راحت تنظر الى الحائط مرة أخرى بتركيز شديد، وفجأة سقطت على الأرض، رحت أناديها أحاول مساعدتها، كانت تتنفس بسرعة كبيرة، والعرق يتصبب منها، ثم قالت لي ببرود وبصوت متقطع:

- انتهى الأمر يا خالد، الصـ...

بعدها فوجئت بضيق في صدري، وراحت أنوار الغرفة تشتعل وتنطفئ، أحسست بأن هناك شخصا ما معنا في الغرفة، بعد جملتها التفتت بشكل مفاجئ تنظر بذهول وخوف ناحية الحائط الذي كانت تقف أمامه قبل سقوطها، فجأة شعرت بأن وجهها انقلبت ملامحه، الرعب والخوف ارتسما عليه، بشرتها السمراء انقلبت الى احمرار، كنت أنظر معها الى المكان الذي كانت تنظر إليه بكل خوف، ولم أجد أي شيء يثير الاهتمام، وأنا متأكد من أنها ترى شيئا جعلها تعيش هذه الحالة، ثوانٍ حتى بدأ جسمها بالانتفاض، وشعرت بأن هناك حركةً غريبة، لكن لم أعرف مصدرها، هل هي من الدولاب أم من السرير أم الأدراج أو الصناديق التي كانت داخل الغرفة، لم أكن وقتها في أفضل حالات تركيزي.

كنت مشدوها ما بين انتفاضة أمي والأصوات التي تصدر داخل الغرفة، أصوات غريبة عجيبة كالضرب على الحيطان والدولاب والأدراج والطاولات وكل الأثاث كان يهتز بشكل مبالغ به، لم أجد أي تفسير لكل ما يحدث، كنت التفت بذعر يمينا ويسارا، لا أعرف من أين تأتي تلك الأصوات.. ولماذا؟

فجأة، توقف ما كان يتحرك ويهتز، سكنت أنفاس والدتي، ومع لحظة توقفه كنت حائرا وقتها لا أعرف كيف أتصرف، ما بين تلك الأصوات التي راحت تضج بها الغرفة، وسكون والدتي المخيف.

مرت ثوانٍ كأنها الدهر بعينه، لحظة من الهدوء المتعب .. هل شعرت أن أحدهم يراقبك وينظر إليك، هذا ما شعرت به وقتها، أحدهم ينظر إليّ من الخلف، التفتُّ فلم أجد شيئا، لكن هناك شيئا هلاميا يتبخر أمامي يسبح في فضاء الغرفة، متجها ناحية السقف، ثم بعدها توارى واختفى بتاتا.

انقطعت حالة سرحاني وذهولي مما يحدث..

هنا استوعبت مرة أخرى حالة أمي السلكنه، رحت أهزها وأناديها، لكنها لم تستجب، نعم.. إنها أعراض الموت التي حلّت بكامل قواها على جسدها، طفل صغير في عمري كيف له أن يتحمل هذه الأهوال التي أتت دفعة واحدة، بكيت يومها طويلا.

ماتت والدتي بعد عذاب طويل ومتعب مع هذه الكائنات غير المعروفة، وكل ما يؤلمنا أننا لم نعرف من كان وراء كل هذا، ولماذا حدث مع والدتي بالتحديد، الحزن هو ما يغلف أركان منزلنا بشكل كامل، لكن هناك في القلب غصة ناحية والدتي المسكينة.

مات قلبي، وأصبح من يومها شيئا آخر وقوةً لا تهاب الخوف أبدا..

وبعد مراسم دفن والدتي، تذكرت تلك الأحداث التي صاحبت اللحظات الأخيرة قبل وفاتها، وذكرت لوالدي التفاصيل الكاملة التي حدثت، استغرب هو الآخر، لكنه لم يهتم، إلا أن فضوله دفعه الى مشاهدة المكان الذي توفيت به، لكنه لم يكلف نفسه بالبحث عن الأسباب .. عدم اهتمام والدي وكأنه ينتظر وفاة والدتي بفارغ الصبر من أجل إزاحة الحِمل الثقيل من على كاهله، وربما تكون هناك أسباب أخرى لا أعرفها، جعلت قصة أمي تدفن معها.

بعدها بفترة بسيطة بدأت أعراض عدم الخوف والجرأة في مواجهة الأشياء تظهر على شخصيتي، من خلال احتكاكي بالمدرسة مع زملائي، أو الزيارات والرحلات التي أذهب إليها مع أصدقائي، ناهيك عن قدرتي الفائقة في عدم خوفي من مشاهدة أفلام الرعب التي كانت المقياس في تلك الفترة لعدم الخوف، كنت لا أكترث أبدا وأشاهد بكل أريحية، أصبحت مَضربا للمثل بين أقراني من الشباب، للأسف الشديد كنت أظن أن هذا الأمر ميزة نادرة جدا، واليوم أدفع ثمنها، بعدم شعوري بالخوف الذي أريد إيصاله للقراء، وكيف لي أن أصف مشاهد لم ترها عيناي بشكل دقيق، لتصيبني بذلك الشعور، الخوف الذي أتحدث عنه يختلف عن خوفنا من تلك الأشياء التي تحصل معنا، مثل خوفنا من والدينا، أو خوفنا من المدرسين، أو الخوف الذي ينتابنا عندما نقوم بفعل خاطئ .. إن الخوف الذي أتحدث عنه هو خوف من نوع آخر، نوع فريد نادر الحدوث.

فقررت أن أعيش تلك التجربة بكل حواسي، وإيجاد فكرة جميلة وجاذبة، فكانت أولى خطواتي البحث عن تلك البيوت التي تدور حولها الشكوك وتثار عليها الحكايات، كونها الطريقة الوحيدة والسهلة التي تكون في متناول الأيدي.

وهو ما ساعدتني عليه مواقع التواصل الاجتماعي والعم «جوجل» الذي أوصلني الى هذا البيت الذي استأجرته كاملا من صاحبه، من أجل الغوص في

خباياه، ومواجهة تلك الأشياء والمخلوقات التي تعيش به، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، حتى أصل إلى شعور الخوف الذي من خلاله أستثير مشاعر كل القراء.

وفي اليوم التالي، وبعد إتمام عملية الاستئجار، كنت واقفا مع بعض العمال الذين كانوا ينزلون حاجياتي الخاصة بالمنزل، وقد خصصت جزءا صغيرا منه للسكن، كوني لا أستطيع تأثيثه بالكامل، نظرا لكبر مساحته، خاصة أنه يتكون من ثلاثة أدوار، وكل دور فيه أكثر من أربع غرف، ناهيك عن السطح والملحق، فارتأيت مكانا صغيرا مكونا من غرفة وحمام ومطبخ تحضيري صغير، بينما تركت البيت بالكامل خاويا.

وأثناء ذلك، لاحظ بعض الجيران وجودي أمام البيت، وأثار اهتمامهم سيارة التحميل التي تنزل الأغراض، ما جعل أحدهم يتقدم ناحيتي، كان رجلا على ما يبدو في العقد الرابع من العمر، اقترب ونظر إليّ ببعض من الاستغراب قائلا:

- يبدو أنك تريد السكن هنا!

التفتُّ ناحيته وقلت نعم مثلما ترى..

اقترب ناحيتي أكثر وقال بصوت خافت:

- نصيحة مني هذا البيت لا يصلح للسكن!

قاطعته بالتفاتة سريعة قائلا:

- منذ متى وأنت تسكن في هذا الشارع، يبدو أنك تعرف الكثير عن هذا المنزل..

هز رأسه ببطء ناظراً إلى الأرض ومتحسراً بنفس الوقت، وقال:

- نعم أعرف بعض المعلومات التي تتداولها الناس بهذا الشارع، كوني أسكن هنا منذ أكثر من 7 سنوات، لأن القصص التي خلقتها الناس حول البيت كثيرة، لكن للأسف لم تكن هناك معلومات أكيدة، كون أصحاب البيت الأساسيين اختفوا فجأة، منهم من قال إنهم قتلوا، ومنهم من قال إنهم رحلوا.

صمت قليلا .. وراح يلتفت يمينا ويسارا .. ثم قال:

- إن هناك بعض الأقاويل تؤكد أن الجن قد اختطفهم!

نظرت إليه ببعض من الشك .. وقلت:

- على أي أساس بنيت هذه المعلومات؟

أجابني بعد أن عاد الى طبيعته:

- هذا البيت ماتت به امرأتان محروقتان، وأعتقد أنك لو دخلت إلى الطابق الأرضي سترى غرفة لا تزال عليها بعض آثار الحريق!

قاطعته مجددا:

- ما الأمور الغريبة والمرعبة التي تحدث في البيت التي تجعل الناس تتحاشى السكن فيه؟.. أتمنى أن تقول لي ما سمعته ورأيته، ولا تذكر لي ما يقوله الناس لك.

قال لي:

- هذا البيت تصدر منه أصوات في بعض الليالي وأنا عن نفسي سمعتها!

رددت عليه مستفسرا:

- أصوات مثل ماذا؟

جاوبني بعد أن أحسست بخوفه:

- صوت بكاء فتاة وبعض الأحيان أصوات تكسير أو تحطيم .. سمها أنت ما شئت، وبعض الأحيان كنا نسمع صراخا غير معروف المصدر!

قلت له وأنا أحاول إثارته بالكلام:

- لماذا لم يتجرأ أحدكم ويتحلى ببعض الشجاعة كي يشاهد هذه الأمور بعينيه؟

نظر إليّ وشعرت أنه غضب نوعا ما من كلامي، وقال:

- يبدو أنك من النوع الذي لا يصدق سريعا .. اذهب أنت وكن ذلك الرجل الشجاع، لكن بعدها لا تلومَنَّ إلا نفسك، لأن هناك بعض العائلات التي سكنت هنا سابقا لم تعش في البيت الا أياما معدودة، ثم هربت منه، وأذكر جيدا آخر شخص سكن هنا عندما قال إنه في أول ليلة سكن بهذا البيت بعد أن استأجره من صاحبه، وبالتحديد عندما فاق من نومه في اليوم التالي وجد أن جميع ملابسه وملابس عائلته ممزقة ومرمية في الحديقة التي تراها أمامك!

- شكرا لك يا جاري العزيز على هذه المعلومات، لكن أنا من النوع الذي يحب أن يرى، ولا يحب أن أسمع ..

رددت عليه محاولا إنهاء الكلام.

فرد علي باستغراب:

- يا رجل إن الأمر فوق ما تتصور، أنت في عز شبابك، لا تغامر، هذه المغامرة لا تُحمد عقباها ونتائجها قاسية.

ابتسمت له ومددت يديّ ناحيته محاولا إنهاء الحديث، إلا أنه قال لي بطريقة مفاجئة

- هذا البيت تسكنه روح.. الساحرة غنيمة، المرأة التي ماتت محروقة في تلك الغرفة التي ذكرت لك.. أعتقد روحها تحوم بهذا المنزل، وتؤذي أي شخص يسكنه!

هززت رأسي موافقا على كلامه واستأذنته وأنا أدخل المنزل وقلت:

- سنتأكد من كل ما ذكرت بعد أن نراه في الأيام المقبلة.

مد الرجل ذراعه متأففا وهو يهم بالرحيل، وقال:

- أووووه يبدو أنك شاب عنيد ومتهور.

دخلت المنزل بعدها وكانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحا.

وكنت أسير بهدوء وأنظر بتمعن الى كل زاوية به، وأرصد حجرة حجرة، حتى وصلت إلى تلك الغرفة المحروقة التي ذكرها ذلك الرجل.

بالفعل، كانت الغرفة محروقة بالكامل، والسواد التهم أغلب أجزائها، إضافة إلى بعض الصماخ الأسود المتعلق بحيطانها، شعرت لوهلة بضيق انتابني فجأة، قلت بنفسي:

- لا أريد التأثر بكلام ذلك الرجل، كل ما في الأمر بعض الضيق، وهذا يحصل دائما في الأماكن الجديدة بعض الأحيان، فما بالك إذا كان هذا المكان محروقا بهذا الشكل، خرجت سريعا ففوجئت بالعامل يقف بوجهي بشكل مباشر ويقول لي بلهجته الآسيوية المتكسرة:

- أين تريدنا أن نضع هذه الأغراض؟

اخترت إحدى الغرف الواسعة التي لها نافذتان، الأولى تطل على الحديقة، والثانية ناحية الشارع الأمامي، راح العمال وقتها ينظمون الأثاث، واستغرق الأمر طوال النهار، حتى بدأت الشمس ترسم السماء بلونها الأصفر المائل للبرتقالي.

انتهى كل العمال من جميع أعمالهم، وبقيت بعض الأمور الصغيرة التي من الممكن تأجيلها لليوم الثاني، إنها ساعتي الأولى التي أغلق علي الباب في هذا البيت وحدي، فتحت جميع مصابيح الإنارة، وجهزت قلما وورقة، محفزا كل حواسي، من أجل رصد كل حدث من الممكن أن يدور في هذا البيت.

لا جديد سوى الصمت الذي أكرهه، حتى أنني حاولت إبعاد هاتفي عني كي أصب كل تركيزي على الأصوات التي قال عنها ذلك الرجل، مرت الساعات

ثقيلة، ولم يحدث أي شيء، بينما بدأ الشعور بالملل ينتابني وقلت بنفسي:

- أعتقد أن الأمور لا تدار بهذه الطريقة، لماذا لا أمارس حياتي بشكلها الطبيعي، نظرت إلى الساعة وكانت تشير إلى التاسعة مساء، خطرت في بالي فكرة هي الخروج إلى بعض المقاهي القريبة، من أجل تناول القهوة، وكسر هذا الروتين الذي وضعت نفسي فيه، وبالفعل خرجت وبعد ساعتين عدت مرة أخرى، كما قلت لكم هذا البيت في الليل يبدو مخيفا من الخارج، بسبب الظلام الذي يحاصره من كل جانب، والأمر الأدهى من ذلك تلك الشبابيك التي في الأدوار العليا، والشُرف البارزة يُخيَّل لك في لحظة أن وجوها عدة قد ارتسمت عليها.

فكرت قليلا وقلت، لماذا لا أقوم أنا بتلك المهمة .. الذهاب الى تلك الأشياء؟ لماذا لا أستثيرهم؟ أعتقد أن الأدوار الأخرى فيها العديد من الأسرار التي لربما تجرني إلى أشياء أخرى.

كما قلت لكم، قمن بإضاءة بعض أنوار الدور الأرضي، لكن الأدوار الباقية كانت شبه مظلمة، تقدمت ناحية السلم الذي هو الآخر أصابه ما أصاب البيت من إهمال، صعدت بخطوات متثاقلة، وأنا أضيء طريقي بالمصباح الخاص بهاتفي المحمول، لم يكن هناك أي شيء، لا أخفي عليكم أنني شعرت ببعض الخوف، إلا أن هذا الشعور لم يكن كما أريد، هناك أشياء داخلنا تدفعنا الى مواجهة المجهول، رغم وجود صوت داخلي يطلب منا التراجع، العقل في بعض الأحيان يتوقف بعض أجزائه عندما تكون هناك محفزات أخرى.

رحت أستكشف الدور الثاني، لم يكن هناك شيء سوى الصمت، وارتجاج النوافذ بسبب الرياح الخارجية التي تتسلل منها، مخرجة ذلك الأزيز الصغير، الغرف أغلبها خاوية إلا من بعض قطع الأثاث الصغيرة التي وضعت بشكل غير منظم، درت دورة كاملة في هذا الركن ولم أجد ما يثير اهتمامي أو يشبع فضولي.

وبعدها نزلت الى غرفتي، ودوَّنت كل ما رأيت، اليوم لا أصوات، لا صراخ، حتى أنني لم أجد أياً من الوجوه التي رسمتها بعقلي الداخل .. ليلة رتيبة مملة بكل شيء، تجهزت للنوم ورحت أفكر ملياً ماذا أفعل، وشعرت لوهلة ببعض القلق، وأنا أضع رأسي على وسادتي لو أن الأيام مرت بمثل هذه الطريقة.

لا .. لا .. لا أريد فشل المهمة، لا بد أن أواجه أحدهم على الأقل، لا بد من مواجهة الخوف الذي أبحث عنه.

مرت الليلة وانا أتقلب على فراشي من دون حدوث أي من تلك الأشياء التي تحدثوا لي عنها، يبدو أن هذه الأرواح التي تحدثوا عنها لا تريد مقابلة

الأشخاص الذين يبحثون عنهم، أو أنهم لا يستمتعون مع أشخاص مثلي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3

مرَّ اليوم الثاني كله، وأنا أرتب وأنظم محتويات البيت، منتظرا اكتساء السماء بلونها الأسود حتى أعود من جديد لانتظار ما يحدث في هذه الليلة ايضا، وعندما أغلقت باب الغرفة وجلست على مكتبي أراقب هاتفي، مرّ الكثير من الوقت وأنا أقلّب حساباتي برأسي، حتى أنني لُمت نفسي لأنني لم أجمع معلومات كافية عن هذا المنزل، وهذه نتائج الاستعجال .. فشل يلحقه فشل، يبدو أنني حتى في كتابة قصصي أستعجل الأمور ولا أعطيها حقها.

لحظة.. تذكرت شيئا مهما وقلت لنفسي كيف نسيت ذلك الملحق.. هناك ملحق مكون من ثلاث غرف لا بد أن أجد ما يشبع غروري ويثير مكامن الخوف فيَّ.

أخذت هاتفي من على الطاولة وانطلقت مجددا، سائرا نحوه بكل حماس، كانت الممرات التي بمحاذاة السور مظلمة جدا، والأمر الذي جعل الأشياء الموجودة بذلك الممر ترتطم بي دون شعور حتى سقطت على الأرض وسقط من يدي أيضا هاتفي، وبينما كنت أهمُّ بالنهوض محاولا أخذ الهاتف من على الأرض، أثناء ذلك ومع حركة هاتفي مع ضوئه الذي اتجه ناحية نهاية الممر، لمحت خيالا انعكس على الحائط واختفى بشكل سريع، يبدو وكأنه أحدهم تحرك.

هنا تحفزت كل حواسي، وشعرت ببعض الفرح، يالي من غريب الأطوار، كيف أشعر بالفرح في مثل هذا الموقف، مع أن الكثير من الناس لو مروا بذلك لماتوا رعباً.. أخذت أنظر الى ذلك المكان الذي لمحت فيه الخيال، مركزا عينيّ بكل قوة، لعل وعسى يظهر مرة أخرى، ورحت أتقدم بخطوات بطيئة ناحيته وأنا أوجه ضوء هاتفي صوبه، وأترقب ظهور شيء ما لأواجهه ليقفز بوجهي مرة واحدة.. هكذا تخيلت الموقف.

يا للخيبة، المكان الذي كنت أتوقع منه شيئا لا يوجد به سوى الفراغ المظلم، لأستدير بعدها متوجها ناحية باب الملحق الذي لم يكن مغلقا، فتحته بهدوء كما هو الحال، الظلام يملأ المكان من كل ناحية، وبالكاد كنت أرى من ضوء هاتفي، لكن الأمر لم يختلف عن باق الأدوار الأخرى، غرف مهملة يتراكم بها أثاث ودواليب قديمة، وبعض الصور البارزة المعلقة على الحائط لبعض المناظر الطبيعية وغيرها من الصور، يبدو أن المكان لم يدخله أحد منذ فترة.

الأشياء فوق بعضها بعضا، والغبار يغطي كل شيء، الحاجيات مكوَّمة دون ترتيب، وبالكاد تميزها، كما يوجد هناك بعض الرفوف التي رصت عليها الحاجيات بشكل عشوائي، كنت أركز ضوء هاتفي على الرفوف بعناية ومن

بين تلك الأشياء مجموعة من الصحف القديمة والأوراق .. ما لفت انتباهي ذلك الكتاب الذي ظهر من بين تلك الفوضى مخفيا داخل إحدى الجرائد، وهو الشيء الذي أثار فضولي، أخذته ونفضت كل الغبار الذي أحاطه، كتب عليه من الخارج (مجرد هذيان) .. لا يوجد به ما يثير الاهتمام سوى هاتين الكلمتين من الخارج.

قلت لنفسي:

- الأمر يدعو للغرابة هذا الكتاب لا بد من تفحصه، هنا سمعت جلبة في الخارج، انتبهت مجددا، وسرت سريعا محاولا الخروج من تلك الغرفة لأعرف ما سبب هذا الصوت.

انطلقت ناحية الباب الخارجي، وهناك العديد من الصور التي أرسمها في خيالي، ماذا سينتظرني بالخارج، فتحت الباب متوجها ناحية الممر الذي جئت منه، ولم ترَ عيني سوى الفراغ المظلم .. مرة أخرى تحسرت قليلا .. أشعر بالخيبة مجددا لم أجد ما يشجعني على الاستمرار .. أين الإثارة التي أبحث عنها؟

عدت مرة أخرى إلى غرفتي وأنا أجرُّ خيبتي خلفي، يبدو أن هذا البيت لا يوجد به أي شيء سوى الشائعات التي ضخمته وجعلت منه أسطورة مرعبة، أين تلك الأصوات أو المخلوقات التي كانوا يتكلمون عنها، منذ يومين وأنا أنتظرهم.

رحت أنظر لذلك الكتاب الذي أخذته من الملحق، نفضته من الغبار الذي كان يملؤه، يبدو أنه ليس بكتاب، على ما أعتقد أنها مذكرات كتبها أحدهم، بعد تصفحي السريع له، كونه كُتِب بخط يد، لفت انتباهي الصفحة الأولى التي كتب بوسطها تلك الجملة

«لا تصدق كل ما أكتبه مجرد هذيان»..

الجملة نفسها التي كتبت خارج الكتاب، لكن ما زاد عليها فقط كلمة «لا تصدق».

أغلقت الكتاب وأنا أتأفف من الملل والخيبة، وضعت رأسي على الوسادة، ورحت أنظر إلى السقف، متذكرا حالة اليأس التي ألمت بي، أحاول ترتيب أفكاري مرة أخرى وأعيد حساباتي، ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أستيقظ في حالة فزع شديد!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

4

- يا له من حلم مرعب، قلبي يخفق بشدة، وصدري يصعد ويهبط بسبب تنفسي السريع، التفتُّ يمينا ويسارا فلم أجد شيئا سوى الحيطان القديمة وكأنها تنظر إليّ، وأقول بداخلي هل هذا فعلا شعور الخوف الذي يقولون عنه، إنه شعور متعب مؤلم لا أعرف كيف أصفه لكم.

من تلك الفتاة التي ظهرت لي في الحلم، لا .. لا .. ليس بحلم إنه كابوس.

الذي رأيته في المنام كان أمرا غريبا، أنا لست من هؤلاء الذين يحلمون كثيرا، هذا الحلم غريب جدا.

وجدت نفسي جالسا في تلك الغرفة المحروقة التي رأيتها بأول ليلة دخلت بها هذا البيت، والتي تحدث عنها ذلك الرجل الذي قابلته، وكان يجلس معي عدد من النساء وكن مغطيات وجوههن ويرتدين السواد، أعتقد أنهن أربع نساء، واحدة منهن كانت ممدة على الأرض وعلى ما يبدو كانت جثة مكشوفة الوجه، والنساء الثلاث الباقيات كن يبكين أو يلطمن وهن جالسات حولها، فجأة اشتعلت النيران في الغرفة بشكل سريع، كنت أصرخ عليهن بصوت عالٍ، وعلى ما يبدو أنهن لم يسمعن صوتي، كنت أحاول تحذيرهن من تلك النار التي اشتعلت فجأة، لكنهن لم يهتممن أو ينتبهن لصراخي وتحذيراتي، هنا حاولت الهروب، كون النار المشتعلة التهمت كل ما هو موجود في تلك الغرفة، التفتُّ حولي فوجدت الباب مغلقا بإحكام، حاولت فتحه لكن لم أستطع، كنت أصرخ طلبا للنجدة، محاولا لفت انتباه احدهم بالخارج، كل ما أسمعه خلف الباب أصوات اختلطت مع بعضها بعضا كنساء ورجال وأطفال، وكلهم كانوا يرددون الجملة نفسها.

- لن تخرج .. لن تخرج .. لن تخرج!

ترددت هذه الكلمة بنبرات أصواتهم المختلفة.

نظرت الى تلك الجثة التي كانت ممددة على ظهرها مغمضة عينها، والنساء لا يزلن يبكين عليها، هذه المرة كان الكتاب الذي أخذته من الملحق موجودا بيد إحداهن، ركزت نظري مرة أخرى ناحية جثة الفتاة التي كانت هادئة، وأنا فزع أبحث عن مخرج مما أنا فيه، كل تركيزي انصب على وجهها، لم أشعر إلا وهي تلتفت ناحيتي بشكل سريع وتفتح عينيها بشكل مفاجئ!

قفزت من مكاني، فقد كانت تنظر لي بغضب، لم أستطع وقتها الكلام، كنت أنظر بخوف شديد..

لتقطع هذا المشهد عندما قالت تلك الجملة:

- لقد وجدت المفتاح، لا تخرج إلا عندما تفتح جميع الأبواب.

بعد هذه الجملة، استيقظت من نومي بخوف، وأنا على هذه الحالة المخيفة.

التفتُّ ناحية الكتاب الذي وضعته على الطاولة، تقدمت نحوه بحذر، مددت يدي ناحيته، لا أعلم من أين أتت لي تلك الرغبة الشديدة بقراءته.

أخذته وتصفحته مرة أخرى، وأنا اقرأ تلك الجملة التي تصدرت صفحاته الأولى:

«لا تصدق كل ما أكتبه مجرد هذيان»..

هنا رددت جملة بداخلي، الخوف لا يحب منتظريه، بل دائما ما يفاجئ.

كانت الساعة تشير إلى الرابعة فجرا، المشاعر بداخلي كانت وقتها جياشة تريد قراءة كل ما هو موجود بالكتاب، فتحت صفحته الأولى، التي كتبت بها تلك الجملة، لأقلب الصفحة التي تليها، هنا عرفت أن هذه عبارة عن مذكرات كتبتها فتاة على ما يبدو أنها تدعى شيماء، كما هو مذكور في هذه الصفحة، التي قالت بها أدعى شيماء، تحكي بهذه الصفحة ليلة عودتها إلى هذا المنزل بعد غياب طويل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

5
حكاية شيماء

دائما ما نشتاق الى الماضي رغم قسوته .. بهذه الجملة بدأت صاحبة المذكرات حكايتها، وأكملت:

- كل قطعة في هذا المنزل كانت لي معها ذكرى،أبوابه، شبابيكه، حديقته، أسقفه، ترابه، حتى حيطانه التي دائما كنت أوبَّخ وأُضرب من والدتي بسبب الخربشات الملونة التي أتركها عليها، أعود مجددا الى هذا البيت الذي تربيت به تحت كنف والديّ اللذين لم يُرزقا إلا بي، فكنت وحيدتهما المدللة.

أعود وأنا أحاول ترتيب حياتي به مجددا، بعد غياب كل الأسباب التي جعلتني أطرد منه سابقا.

عائلة والدي صغيرة جدا، لم يكن له في هذا الوطن سوى الأصدقاء، ما يعني أنه مقطوع من شجرة، كما يقولون، لكن لديه أختاً شقيقة تدعى غنيمة، كانت متزوجة وتعيش مع زوجها وأولادها، لا أريد إطالة الكلام وأود الاختصار.

بعد وصولي إلى سن السادسة توفي والدي بجلطة في المخ، بسبب حبه وغرامه بالتدخين، لم يستمع الى التحذيرات الكثيرة، فاستفردت به هذه السجائر وقتلته بسرعة كبيرة.

البيت الذي نعيش به كان منزل جدي لوالدي، وهو تاجر سابق معروف على صعيد تجارة العقارات، ويعد هذا البيت الذي أشبه بالقصر من القلائل، بسبب تصميمه الهندسي الجميل الذي يخطف الأنظار، ويعتبر بنفس الوقت منزل ورثة، فمن الطبيعي أن أرثه مباشرة كوني ابنتهم الوحيدة، ولم أكن أتوقع أن الأقدار تخبئ لي منافسين جددا، لم تمر سنة على وفاة والدي حتى دخلت علينا عمتي غنيمة بتلك الليلة وهي تجر وراءها ثلاثة أبناء «بنتان وولد»، باكية وتصيح وتشتم زوجها الذي على ما يبدو أنه طلقها بعد زواجه من الثانية، كانت والدتي إنسانة طيبة واستقبلتها أفضل استقبال، بل عاملتها بكل حب واعتبرتها أختها.

كنت أذكر ملامح وجوه أبنائها في تلك الليلة، خاصة أنهم جلسوا بنفس المكان الذي أجلس به الآن، الكبرى تدعى نادية وتصغرها دلال، بينما كان آخر العنقود يدعى فهد القريب من عمري، لكنني كنت أكبر منه بسنة واحدة أو أقل قليلا، كان فهد في تلك الليلة يتشبث بعباءة والدته بشدة، وينظر كثيرا اليها ببلاهة وهي تبكي وتشكي لأمي عن الأهوال والمتاعب التي تحصل من والده.

أمي كانت «حقانية»، قالت لعمتي بترحيب كبير:

«هذا البيت بيتج وراح نخصص لج الطابق الثاني كله عشان تعيشين فيه انتي وعيالج».

أذكر وجه عمتي الماكر جيدا في تلك الليلة عندما قامت والدتي للمطبخ، وجملتها التي لا تزال عالقة في ذهني حتى وهي تقولها بوجه ممتعض وعينين متربصتين:

- شدعوه بتنظر منج الأوامر عشان أسكن في بيتي!

لم تكن عمتي غنيمة تلك الإنسانة المغلوبة على أمرها، كما صورتها لكم في البداية، بل على العكس، كانت تتظاهر دائما بهذا الشكل لتكسب تعاطف الآخرين، بل شخصيتها مختلفة بتاتا، كانت تكيد وتمكر، ومشاكلها لا تنتهي، وهو الأمر الذي اكتشفناه أنا ووالدتي بعد الفترة التي قضتها معنا في هذا المنزل، بعد أن طلقها زوجها بشكل نهائي.

والدتي رضيت بالأمر الواقع، كون عمتي وريثة ايضا، لكن على العكس، فعمتي لم ترغب بوجودنا في المنزل، وبدأت تلعب لعبتها الماكرة، واستخدمت كل الوسائل من أجل أن تستحوذ وحدها على المنزل، وأول وسيلة استخدمتها معنا هي تشويه سمعة والدتي، لأنها أرملة، وكما قلت لكم عمتي من النوع الاجتماعي «الثرثار» الذي يجيد إقناع الآخرين وتأليف ونسج الحكايات، وذكية جدا في مثل هذه الأمور .. باختصار هي ماكرة جدا، تتلاعب بالألفاظ والكلمات ببراعة، وهو الذي يجعل جيراننا يصدقونها بسرعة كبيرة، الأمر لم يتوقف على الثرثرة وتلفيق التهم، بل قامت في يوم بتدبير خطة بعد اتفاقها مع أحد الرجال الذين على شاكلتها، وطلبت منه أن يقف بسيارته فقط أمام منزلنا، وكان الرجل يقف كل يوم بسيارته الفارهة لمدة ليست بالطويلة، والناس في تلك الفترة بسيطين جدا، لا يصدقون الا ما تراه أعينهم، وهذه الفعلة بالنسبة لأهل الشارع دليل واضح على أن هناك شيئا يدور خلف الكواليس، وراحت هذه التهمة تتثبت على والدتي يوما بعد يوم، وزاد القيل والقال الذي بدأ ينتشر في الشارع، وللأسف إن المصدقين لهذه الحكاية كُثُر، ناهيك عن المشككين وغير المتيقنين من هذا الأمر، جعلهم يضعون أمي في دائرة الاتهام الكبرى.

تغيرت معاملة الجيران لوالدتي، وقلَّت الزيارات لنا، حتى أنهم أصبحوا يتحاشون الحديث معها أو حتى استقبالها في بيوتهم..

أمي طيبة جدا «على نيتها» لم تتحمل تلك الأقاويل التي تقال عنها في الخفاء، أو تلك المعاملة السيئة التي تتعامل بها من الناس، فتأثرت جدا، الأمر الذي انعكس على صحتها.

حتى أصيبت بوعكة صحية ألزمتها الفراش .. وذات يوم وبالتحديد بعد مرور يومين على إصابة أمي بوعكة صحية، زارت عمتي غنيمة أمي بغرفتها، وقتها كنت جالسة بجانبها، وراحت تسأل عن صحتها، إلا أن الحديث بدأ يأخذ منحنى آخر، وبدأت عمتي تجر أمي لموضوع الخبر المنتشر بين الجيران عن قصة ذلك الرجل، وكلام الناس الذي يقال عنها، وبيّنت لأمي أنها لن ترضى أبدا أن يقال عنها ذلك، وأنها المدافع الأول عنها بكل شراسة، وطلبت والدتي من عمتي أن تقول لها الحقيقة كاملة وعن نوع الحديث الذي يتداوله الناس.

نظرت لي عمتي غنيمة وكأنها لا ترغب بوجودي، فهمت أمي ما ترمي إليه عمتي، وطلبت مني الخروج، وبعد خروجي وقفت عند الباب يدفعني فضولي لأسمع صوت عمتي تتغير نبرته، ولم أفهم ما تقول، وبعد ربع ساعة خرجت عمتي وهي تنظر لي بعينيها الحادتين.

دخلت لأجد والدتي تبكي بحرقة، ثم احتضنتني بكل قوتها، وقالت لي:

- دائما الخير يعمّ والشر يخص، احذري يا ابنتي من هذه الحياة، فهي دائما لا تتهاون مع الضعفاء وقليلي الحيلة والتدبير.

وفي صباح اليوم التالي من زيارة عمتي لنا في الغرفة، وعلى غير عادة والدتي لم تستيقظ في موعدها المحدد، وعند وصولي ناحية سريرها كانت تنظر لي بشكل مباشر، كلمتها ولم ترد، مددت يدي ناحية يدها، شعرت بأن الحياة لا تزال تدب بها، وما فاجأني هي محاولات كلامها الثقيل وحركتها التي أصبحت بطيئة جدا، نهضت وبدأت أنادي من كانوا في البيت، لأكتشف بعدها أن والدتي لا تستطيع تحريك جزء من جسمها، وهو ما جعلها مشلولة غير قادرة على الحركة، ثقيلة الكلام، جزء واحد من جسدها هو ما تدب به الحياة، أما الجزء الآخر فكان شبه منتهٍ.

عاشت والدتي حياتها الباقية وهي على كرسي متحرك، وكنت أنا التي وصلت إلى سن الخامسة عشرة من عمري من يقوم بالاهتمام بها، في هذه الأثناء كانت عمتي غنيمة تفرض سيطرتها وهي وعائلتها على البيت، لأنها لم تجد من يردعها ويوقفها عند حدها، كوني بنتاً صغيرة لا حول لي ولا قوة، لم أشعر إلا وأصبح منزلنا مزارا، أناس يدخلون ويخرجون بشكل شبه يومي وأغلبهم من النساء، الزيارات كانت لها مواعيد تبدأ من الثانية ظهرا وتنتهي في السابعة مساء، ولا أنسى ذلك المنظر عندما نزلت في أحد الأيام لأشاهد الكم الكبير من النسوة وهن يجلسن يثرثرن، وكانت تجلس معهن ابنة عمتي نادية، ولا أنسى ايضا نظراتها الحادة وهي ترمقني بعينيها في تلك الليلة .. نادية البدينة كانت نسخة أخرى من والدتها .. أذكر أنها تقدمت نحوي وقالت لي ببعض من العصبية وهي تشد على شفتيها:

- يفضل عدم تواجدج هنا والصعود لمراقبة أمك.

العديد من التساؤلات التي لم أجد لها إجابة، لكنني لم أهتم كثيرا، وكنت أفكر وقتها فقط بوالدتي.

أصبحت سجينة غرفتنا لا أخرج إلا للضرورة، ولا أدري ما يدور في الطابق الأرضي، وفي الوقت نفسه هناك حركة غير اعتيادية، وما يثير الاستغراب رائحة البخور التي أشمها كل يوم طوال فترة تواجد النساء.

ذات يوم، نزلت بعد أن شعرت ببعض من الملل وكنت أعلم أن هذا الوقت ليس الموعد الخاص بتواجد الزوار المعتادين لعمتي، كانت الساعة تشير الى العاشرة مساء، تقدمت بخطى بطيئة وأنا متجهة ناحية المطبخ، كنت أشعر ببعض الجوع، وفي طريقي مررت من أمام الغرفة، التي هي الآن أمامي محترقة، لكن قبل 10 سنوات كانت غرفة عمتي غنيمة، لا أدري لماذا دفعني فضولي للذهاب ناحيتها، من الممكن أن تكون تلك الهمهمة التي كنت أسمعها تصدر من غرفة عمتي، أو ربما ذلك الصوت الخشن الذي كنت أسمعه بالداخل يتحدث مع عمتي هو من جعلني أقترب منها أكثر وأكثر، فضولي دفعني ناحيتها بكل قوة، كان يقول لها:

- نسكن هناك معكم، وفي المقابل تأخذين كل ما في الصندوق الذي سوف يسيِّر لك كل الأمورِ التي تريدينها، وإياكِ أن يأخذ أحد شيئا منه لأنه من الممكن أن تنقلب الأمور إما عليك أو عليه.

لم أفهم أبدا الحديث، الصوت كان غريبا وبشعا بنفس الوقت، هنا أمد رأسي ناحية الباب أريد الاستماع للمزيد كون الصوت لم يكن واضحا، لا أدري كم عدد الأشخاص الذين كانوا موجودين بالغرفة، ومن هذا الرجل الذي يتحدث مع عمتي بهذه الأثناء، بقيت لدقائق وأنا أتنصت، لم أشعر بعدها إلا بيد أحدهم على كتفي من الخلف، تجمدت من الخوف، شعرت للحظة أنني في موقف لا أحسد عليه، من ذا الذي يقف خلفي الآن!

- تماديتِ كثيرا يا شيماء، كان صوت عمتي غنيمة وخلفها ابنتها نادية ينظران لي بنظرة ماكرة، لم أعرف كيف أرد عليهما، وحاولت تدارك الموقف وقلت بصوت مرتبك:

- كنت جائعة ونزلت للمطبخ أبحث عن شيء آكله.

جرتني عمتي بعد أن ضغطت بكل قوتها على كتفي، كنت بالنسبة لها وزنا خفيفا مقارنة مع حجمها الضخم، وقالت بغضب:

- تعديتِ حدودك كثيرا (شيماؤوه) .. وأيامك انتِ ووالدتك في هذا البيت أصبحت قليلِة، ثم راحت تنظر لي بحقد، شعرت أن عينيها تكاد تخرجان من

مقلتيها، لا أخفي عليكم كم من الرعب والخوف الذي شعرت به في هذه اللحظة، قاطعت نادية لحظات الفزع الصامتة، وقالت بحدة وتهديد:

- أعتقد أنك لم تسمعي أي شيء وإذا سمعتِ اجعلي نفسك كأنك لم تسمعي، إذا شعرنا أن هذا الأمر قد تسرب ستكون عاقبة هذا الأمر وخيمة عليكِ يا ابنة خالي.

انطلقت مسرعة إلى غرفة أمي، والخوف والهلع يدبان بكل جسدي، بسبب تلك النظرات المرعبة والتهديد الذي شعرت به من قبل عمتي وابنتها نادية.

دخلت الغرفة كانت والدتي تنظر وعينيها تقول:

- ما الذي حصل يا ابنتي، ما هذا الوجه المصفر، فهمت عينيها وحاولت أن أكون طبيعية مرة أخرى أمام والدتي حتى لا أشعرها بالقلق، فهي لا تتحمل أي صدمات أخرى.

رحت أراجع كل ما حصل قبل دقائق وأطرح على نفسي العديد من الأسئلة، من هذا الرجل الذي كانتا تتحدثان معه، ولماذا يريداني أن أخفي الموضوع؟! لحظة هناك أمر بالغ الخطورة ويثير العديد من علامات الاستفهام!

كيف خرجت عمتي وابنتها نادية من الغرفة ووقفتا خلفي وهما كانتا تتحدثان مع ذلك الشخص من داخلها؟ كيف لم أنتبه لحظة خروجهما كوني كنت أقف أمام الغرفة بشكل مباشر، ومتأكدة أنه لم يدخل أو يخرج أحدهما في تلك اللحظة، أمر مثير للحيرة؟!

6

رحلت الذكريات في هذه الأثناء كانت جياشة، وتتصارع بداخلي العديد من المشاعر ما بين حزن وألم وخوف، أنظر الى تلك الغرفة المحروقة التي كانت مسرحا للأحداث في وقت سابق، وهي خاوية الآن بعدما كانت كل العمليات تنطلق منها، آخذ تنهيدة طويلة وأنا أعتدل في جلستي، وأدور بعيني في ذلك البيت الذي لم يتغير كثيرا سوى من بعض الأثاث وألوان بعض الحيطان.

في هذه الأثناء، دخل علي ذلك الرجل بخطوات هادئة، ممتلئ الجسد قليلا، تغطي وجهه لحية خفيفة بالكاد تُرى، ورأسه الحليق، يرتدي دشداشته البيضاء، ويتقدم نحوي ورائحة الذكريات ايضا تفوح منه، كما الوضع الذي أعيش به الآن، لا أعلم لماذا شعرت بالسعادة والحزن في الوقت نفسه بهذه الاثناء، خاصة انني عرفت شخصية الذي يسير بخطواته الهادئة وبادرته بالكلام:

- عرفتك من مشيتك، لم تغير هذه العادة أبدا دائما تسير وأنت مطأطئ رأسك.

ابتسم بهدوء وسلم علي قائلا:

- مفاجأة جميلة أن أجد ابنة خالي في هذا اليوم.

إنه فهد ابن عمتي غنيمة، الولد الذي ذكرته لكم في بادئ الحكاية، أصغر إخوته الذي دخل وهو يتمسك بعباءة أمه، ذلك الطفل الذي كان ينظر ببلاهة لها وهي تبكي.

راح فهد بعدها يلومني على عدم تبليغه بعد تصريح مستشفى الطب النفسي والسماح لي بالخروج قائلا:

- لا .. لا .. لا، هذي محسوبة عليج يا شيماء، المفروض تبلغيني على الأقل أقوم بالواجب.

فهد ذلك الولد الذي كان أهدأ أبناء عمتي، وأخفهم حدة من الباقين، وبنفس الوقت هو ما كان سببا رئيسيا لدخولي للطب النفسي ليس بتعمد، لكن هو الأداة التي استعملتها عمتي غنيمة لتنفذ مخططاتها وتضرب بكل قوتها، هذا المسكين كان يرتعب من أمه كثيرا، كان يخافها بشدة ويرتعد لو رمقته بعينها، وهناك العديد من المواقف جمعتني به، قطع تفكيري مجددا وقال:

- سأذهب وأقوم بتحضير الشاي .. وابتسم وشعرت أنه ارتبك بخجل، ثم قال

- أرجو أن يعجبك الشاي الذي سأقوم بتحضيره، فأنا لست متخصصا بمثل هذه الأمور، فلو كانت زوجتي موجودة لحلت المشكلة، فهي تزور أهلها بهذا الوقت.

يااه .. فهد متزوج، هذا الامر لم يكن ايضا بالحسبان، كونه شخصية لا تعرف الاعتماد على نفسها، ودائما يطلب مساعدة الآخرين، لا أعرف الآن كيف يتحمل هذه المسؤولية الكبيرة، الأمور بهذه الدنيا تتغير بسرعة.

طرت مع الذكريات، لكن هذه المرة مع الموقف الذي قلب حياتي كلها، كون عمتي أعلنت الحرب علي وعلى والدتي.

أذكر يومها أنني خرجت من غرفتي بعدما سمعت صوت بكاء أحدهم، الصوت كان يصدر من غرفة فهد القريبة من غرفتنا، كان يومها يبكي بحرقة وألم، والمصيبة أنه كان يتكلم مع أحد وهو يبكي، وكعادة فضولي الذي لا يجلب لي سوى المصائب تقدمت ناحية الغرفة وأنا أسمعه يقول:

- أمي ما تحبني ولا راح تحبني دائما تعاملني على أساس أني ناقص وتقول إنني مثل أبوي، وتفضل أختي نادية علي.

مع من يتحدث فهد ويتكلم بهذه الطريقة .. أمر غريب جدا!

- شوفي هالشوارب وهاللحية وهالجسم اللي أنا عليه واهي للحين تعاملني كأنني طفل، حتى انه يوم نروح المدرسة تقعدني بالخلف وتخلي نادية قاعدة جدام في السيارة، شكثر انحرج من ربعي يوم أوصل المدرسة.

هنا فتحت الباب وكان فهد يتحدث بكل حرقة وألم، وكأنه يتكلم مع أحدهم، حتى هذه اللحظة لم يشعر فهد بوجودي، كنت أتقدم أريد معرفة مع من يتحدث، والمفاجأة الكبيرة عندما وصلت، اكتشفت أنه يتحدث مع دمية! كان يضعها على الكرسي المقابل لسريره، وكأن هذه الدمية شخص حقيقي، أمر محزن ومخيف في الوقت نفسه، هذا الولد يعاني من أمر نفسي بسبب والدته ومعاملتها له بطريقة غير لائقة.

انتبه لحظتها فهد لوجودي، راح ينظر لي وهو يحاول مسح دموعه التي تتساقط بارتباك، ثم بعد ذلك حاول إخفاء تلك الدمية التي كان يضعها أمامه بحركة سريعة، لم أعرف وقتها كيف أتعامل معه، هل أخرج بهدوء أو أحاول تهدئته، ثم بقينا نحن الاثنين ننظر لبعضنا البعض لبرهة من الوقت.

هنا بحركة مفاجئة قام فهد سريعا وتقدم نحوي بسرعة كبيرة ثم وقف أمامي بحزن شديد وبعدها احتضنني وراح يبكي بحرقة شديدة، لم أعرف وقتها كيف أتصرف، الأمر غير لائق أبدا، كوني ابنة خاله، لكن بنفس الوقت شعرت

بتعاطف كبير ناحيته رحت أمسح على رأسه وأهدئه، ابتعد عني قليلا بعد أن شعر بأن الوضع غير ملائم، وقال:

- لا أعرف كيف فعلت ذلك .. صدقيني من دون شعور.

صمتُّ ولم أرد عليه، لكنه بادرني مجددا وطلب مني الجلوس، وقال:

- أتمنى أن كل ما حدث مني اليوم أن يكون سرا بيننا.

هززت رأسي وأنا أوافقه على ما يقول، وقلت:

- أشعر بما تشعر به، نحن الاثنان نعاني من نفس الظلم بهذا البيت.

في هذه الأثناء لم نشعر إلا وعمتي غنيمة تقف عند باب الغرفة، وكالعادة ابنتها نادية تقف خلفها.

- طالت وشمخت: انتِ شلون تدخلين دار فهد بروحج، وأنت ما لقيت الا هالجيكرة تسولف معاها.

ثم تقدمت نحوي وتكرر الأمر نفسه، بعدها جرتني مجددا نحو الباب، وبسبب عدم التوافق الجسدي ما بيني وبينها أصبحت بيدها كورقة بالية، ومن ثم غيرت حركتها لتضع يدها على شعري وتسحبني بكل قوتها وأنا أتألم ناحية غرفة والدتي، ثم دخلت وهي تصرخ بوجه أمي:

- سمعي إذا ما سنعتي بنتج أنا أعرف شلون أسنعها، لا تقط بلاها على الناس ولا تقرب صوب ولدي فهد .. صج لا قالوا الحب يطلع على بذرة.

شعرت وقتها بمرارة تلك الكلمات القاسية التي ألقتها غنيمة بالغرفة، وتحاول إقحام أمي بالحدث الذي افتعلته، كانت والدتي تنظر وهي متحسرة من وقع كلمات غنيمة المؤلمة، هنا رحت وشرحت لوالدتي كل شيء بهدوء، مبينة لها أن الأمر بسيط جدا، هذه الحادثة قضت على والدتي كونها كانت تعيش المرار، ازداد عليها المرض كثيرا، وبعد أسبوع من الحادثة الأولى حدث أمر مشابه ايضا، لكن هذه المرة فهد هو من يطرق باب غرفتنا فتحت الباب، يقف أمام الباب وملامح الحزن والضيقة ترتسمان على وجهه، كنت مرتبكة وخائفة أنظر خلف فهد خوفا من أن تظهر عمتي بأي لحظة، وبعدها نظرت إليه ورجوته بأن يرحل بسرعة، لأنني لا أريد الوقوع بالمشاكل، يكفي ما حدث تلك الليلة، قال فهد بيأس:

- أحتاج أفضفض يا شيماء، ما عندي أحد يسمعني، أخاف أقول لدلال تروح تقول حق أمي (دلال أخته الثانية)، مادري ليش حسيت براحة يوم تكلمت معاج المرة اللي طافت بس أمي دشت وعفست الموضوع.

قاطعته وأنا أنظر خلفه ويمينا ويسارا بقلق:

- شوف يمكن أمك راح تجي بأي لحظة وتعفس الدنيا، الله يخليك روح ما بي مشاكل..

نظر لي بحسرة كبيرة وذهب بهدوء.

أغلقت الباب وراءه، كانت والدتي تنظر لي، وكأنها تسأل من كان عند الباب، قلت لها إنه فهد، هنا سمعت صراخ عمتي مجددا وهي تقول:

- أنا الحين أعلمك فيها.

لم نشعر إلا وعمتي غنيمة تقتحم علينا الغرفة، ثم اتجهت ناحيتي مرة أخرى، وقامت بضربي وجذبي وركلي، لتأتي معها ابنتها نادية ليكملان حفلة الضرب المشبع.

لم يؤلمني الضرب أكثر من ألمي على حال والدتي التي كانت تحاول النهوض لإنقاذي، إلا أن مرضها منعها، كانت تصرخ وتنادي بكتمان وهو ما شعرته من عينيها، أرى حرقتها وخوفها علي، ومع محاولات حركتها البطيئة سقط نصف جسدها من على السرير، حاولت الإفلات من قبضتهما من أجل إنقاذ أمي، لكن كان الوضع صعبا جدا، نظرا لضخامة جسديهما، كان فهد وقتها يقف عند باب الغرفة مذعورا من دون أي ردة فعل، هنا سقطت على الأرض من كثرة الضرب، استسلمت لهما وهما تضرباني وأنا أنظر بعيني وكلي خوف على أمي التي تترنح بنصف جسد من على السرير.

بعدها قامتا بجرِّي من شعري خارج الغرفة، وكانت عمتي تقول:

- هذي ما يفيد معها الطق، لازم نعاقبها بطريقة ثانية.

ردت عليها نادية وهي تجرني وتلهث:

- نحبسها بالدولاب الكبير.

ماذا يقصدان أي دولاب يتكلمان عنه!

أخذاني ناحية هذه الغرفة، المحروقة الآن، بالطابق الأرضي، وأدخلاني إياها، كان هناك بالفعل دولاب خشبي ضخم موجود بطرفها، ثم قامتا بجري وأدخلتاني بكل قوتهما داخل الدولاب، كنت أبكي بخوف ورعب، وأقول لعمتي:

- الله يخليج أنا أخاف من الظلمة لا تحبسيني اهني.

لم تبالِ عمتي لكل دمعة أو صرخة أو توسل بدرت مني، لم أجد نفسي الا وأنا محبوسة داخل هذا الدولاب، والظلام يحاصرني من كل جانب، رحت أصرخ وأبكي وأضرب بكلتا يديي على الباب محاولة الخروج، من يسمعني هنا سوى العتمة، الجميع خائف ولا يريد المساعدة، بقيت ليلتي كلها محبوسة، أعيش كل لحظات الفزع داخل هذا الدولاب الذي كأنه صنع من أجل أن أحبس به، كنت ما بين خوفي وقلقي على والدتي التي لا أدري ما الذي حصل لها.

دخل فهد وهو يقطع آخر شريط الذكريات، ويحمل بيده صينية الشاي، ويضعها على الطاولة وكعادته كان قليل الكلام.

كنا نرتشف الشاي دون أي كلام، بينما ذكريات الدولاب لا تزال تحاصرني، لم أنسَ هذه الليلة أبدا، المثير للحيرة الحديث الذي كنت أسمعه طوال ما كنت محبوسة، عمتي تتحدث مع أحد الرجال، نفس الصوت الذي سمعته، ببحته المرعبة وخشونته، وطلباته، كانا يتحاوران على أمر ما!

لم أكترث وقتها كان كل تفكيري في أمي، لا يهمني مع من تتحدث هذه المرأة القاسية، ومن شدة الألم النفسي والظلام الذي يحاصرني أنام وأستيقظ على ضربات على الدولاب أو حديث غير مفهوم، الذي لم يتوقف طوال فترة الليل الا في اليوم التالي، استيقظت بعدها وشعرت ببعض الضوء يتسلل من تلك الفتحات الصغيرة، عرفت أننا دخلنا بيوم آخر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

7

ناديت بصوت لعل أحدهم يسمعني، فما من مجيب، حاولت فتح باب الدولاب، إلا أنه كان موصدا بشكل محكم، شعرت باليأس، تخيلت نفسي أنني سأبقى طوال عمري بهذا المكان، وفي نفس الوقت القلق يكاد يفتك بي، كون أمي تحتاجني، وهناك مواعيد خاصة ودقيقة لأخذ أدويتها.

سمعت صوت حركة بالغرفة، دقائق حتى شعرت أن باب الدولاب يفتح بعد أن ملأ الضوء المكان كله وانا أغمض عيني من شدته، لأجد بنت عمتي دلال هي تقف أمامي وتطلب مني الخروج، بينما كان فهد يقف عند الباب يراقب بقلق ويطلب مني الإسراع خوفا من دخول أي أحد بأي لحظة.

انطلقت مسرعة ناحية غرفة والدتي، وعندما وصلت لم أجدها على فراشها تقدمت نحو السرير أنادي عليها، ففوجئت بوجودها مرمية في الناحية الأخرى، انطلقت نحوها أحاول إيقاظها، لكن المصيبة أنها لا ترد علي أبدا، اقتربت برأسي ناحية صدرها لأتاكد من نبضها، لا شيء أبدا، كان وجهها مزرقا وشاحبا، فهمت أن والدتي توفيت، لكنني غير متأكدة من ذلك.

ذهبت الى دلال، التي كانت لا تزال تقف بجانب غرفة والدتها، وطلبت منها الحضور لمشاهدة ما حصل لوالدتي، أتت معي وانتابها نفس الشعور الذي حصل لي، نظرت بدون أن تنطق بكلمة ووجهها ممتلئ بالذعر، ومن ثم اتجهت ناحية هاتف البيت وطلبت الإسعاف.

وعند وصول المسعفين، أكدوا أن والدتي قد توفيت من خلال فحصهم لها، لم أتكلم ولم أقم بأي ردة فعل، كنت صامتة جامدة، لا أستوعب ما يحدث لي، هل أنا في حلم أم حقيقة من المعقول أمي تموت بهذه السهولة، ولماذا يحدث كله هذا ؟!

من أجل مشاكل عمتي وغطرستها وجبورتها، حيث لم تجد أحدا يوقفها، راحت دلال تحاول تهدئتي، والمسعفون يقومون بنقل جثة والدتي أمامي، بينما فهد كان يسير بتلك الطريقة المعتادة وهو يخفض رأسه، هنا رحت أصرخ وأضرب كل شيء أمامي، ثم سقطت على الأرض وأنا أنتفض وأتقلب يمينا ويسارا وأقوم وأصطدم بالحائط ومن ثم الخزائن الصغيرة وأسقط مرة أخرى بسرعة، كل ما أتذكره في هذه اللحظة هي محاولة تثبيتي من المسعفين، وأسمع أحدهم يقول إنها حالة صرع.

لم أفق إلا وأنا في المستشفى، والعديد من الأسلاك تحاصرني وتقيدني من كل جانب، لا أعرف كم مرَّ من الوقت، كل ما أشعر به حزن كبير يجثم على صدري، تذكرت أنني أفقد أهم إنسانة بحياتي، حاولت النهوض وأنا أسحب

تلك الأسلاك وأنتزعها من على يدي أريد الخروج، انتبهت إحدى الممرضات التي طلبت من الأخريات مساعدتها في إيقافي، كنت شرسة أحاول الهرب منهم، حتى أنني قمت بضرب إحداهن، وأردد لهن

- ابتعدوا عني أريد الاطمئنان على أمي.

حتى جاءت إحداهن من خلفي لتغرز تلك الإبرة التي أعادتني مرة أخرى الى السرير.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

8

انتهى كل شيء، ولم يعد لي شيء في هذه الدنيا، وبالتحديد في هذا البيت، فقدت كل شيء، رجعت بعد فترة قضيتها بالمستشفى، رجعت وأنا مقصوصة الجناحين، لا أب يمسح على رأسي، ولا أم تحتضنني في ليلة باردة، آثرت الصمت على الكلام، كل الأشياء بلا قيمة، أصبحت مثل الآلة لها روتين واحد طوال اليوم، أستيقظ للذهاب إلى المدرسة، العودة مجددا للبيت، تناول وجباتي اليومية، الجلوس بغرفتي ثم النوم، بينما كانت نظرات الشفقة أراها في عيون فهد ودلال، ونظرات الغل والحقد والكره في عينيْ عمتي ونادية، لم أهتم لتلك الولائم التي تقيمها غنيمة، والنساء اللاتي يخرجن ويدخلن بشكل يومي، كنت أتحاشى فهد الذي يحاول الحديث معي من خلال نظراته، أتحاشى كل شيء في هذا البيت، والذي يبقيني على قيد الحياة ذكرى أمي ورائحتهافي الغرفة، كل يوم أبكي ذكراها، أتشمم رائحة ملابسها، حاجيتها، دفئها الذي تركته على فراشها ورحلت.

قطع فهد شريط ذكرياتي بسؤاله المفاجئ قائلا:

- توقعت عدم خروجك من المستشفى.

وضعت فنجان الشاي على الطاولة، وابتسمت بهدوء، وقلت له:

- وأنا ايضا توقعت عدم خروجي وظننت أنني سأعيش ما تبقى من حياتي هناك، لكن حدث أمر جيد، خاصة وبعد تغيير إدارة المستشفى قرروا عمل تدقيق وإعادة فتح الحالات القديمة من أجل فحصها، كون المستشفى لم يعد يستوعب الحالات الكثيرة، نظرا لقلة الأسرَّة الخاصة بالمرضى، وأنا من الحالات القديمة التي مرت عليها أكثر من ثمان سنوات، فقرروا فحصي وأكدوا شفائي التام، وبعدها خرجت على مسؤوليتي الخاصة، نظرا لعدم وجود أي شخص قريب لي، خاصة أنهم اتصلوا بوالدتك كثيرا لكن لا أحد يرد، فأتموا إجراءات خروجي، وها انا الآن أمامك.

- لا أدري ماذا أقول يا شيماء، كل ما أتمناه أن ننسى الماضي ونفتح صفحة جديدة، وكما ترين (هذا البيت بيتك وانتي لج حق فيه).. قالها بصوت منخفض.

آه ياللزمن الذي يتلاعب بنا.. نفس الجملة التي قالتها والدتي لأمك يا فهد، لكن هذه المرة انت تقولها لي، وأكمل كلامه..

- وانتِ كما ترين لا أحد بالمنزل يعيش معي سوى زوجتي، والدتي انتِ تعرفين أنها توفيت هي ونادية محروقتان في تلك الغرفة قبل أقل من سنتين،

وأختي دلال تدرس بالخارج، وعلى هذا الأساس سأخصص لك جزءا من الطابق الثاني.

نظرت له بتوجس وقلت:

- لا، أرجوك هناك العديد من الذكريات في ذلك الطابق أريد نسيانها، وعلى ما أعتقد أن هناك ملحقا كبيرا بالخلف، وأنت كما أعرف متزوج ولا أريد أن أتسبب لك في مشاكل، فالملحق حل جيد وعلى ما أظن أن له بابا خاصا للخروج والدخول وهو منعزل عن المنزل، ثم صمت قليلا، وأكملت حديثي:

- بالمناسبة، أنا آسفة على هذا السؤال .. كيف حدث الحريق بالبيت؟ .. يالفضولي الذي لا أعرف كيف أكبح جماحه.

أنزل رأسه كعادته، وقال بنبرة من الحزن:

- حادثة غريبة جدا يا شيماء، كنت بغرفتي لم أسمع إلا صراخ والدتي وأختي، انطلقت مسرعا إلى الغرفة رأيتها مغلقة بإحكام والدخان ينفذ من خلال فتحات الأبواب، وقتها كنت مرتبكا، فهذه المرة الاولى التي أتعامل فيها بمثل هذه المواقف، كنت أسمع صرخاتهما واستغاثاتهما، تذكرت ان هناك نافذة خلفية تطل على الحديقة انطلقت ناحيتها وكنت أنوي كسرها وبمجرد وصولي وجدت زوجتي تحاول الخروج وهي شبه متعبة سحبتها منه وهي مذعورة وتسعل من شدة ابتلاعها الدخان، كانت النار بذلك الوقت قد أتت على كل شيء.

سألتها وقتها عن والدتي وأختي فلم ترد بسبب وضعها الصحي، اقتربت من النافذة مناديا لهما، الحرارة كانت شديدة ومنعتني حتى من لمس الحيطان، اختفى صوتهما والنيران والدخان كانا يحجبان كل شيء أمامي، كان موقفا مخفيا، جيراننا تدخلوا إلا أنهم اصطدموا بنفس الحواجز التي اصطدمتُ بها، حاولوا إبعادي، وبعد فترة قصيرة وصلت سيارة الإسعاف، ولم يستطع المسعفون إنقاذهما، ماتتا محروقتان، التهمت النيران جسديهما بضراوة ولم يتبقَ منهما أي شيء.

لا أعرف يا فهد هل أفرح أم أحزن، هل هذا هو حكم القدر بهما بعدما ظلماني وقتلا أمي واتهماني بالجنون، وقاما بسلب جميع حقوقي من دون اي شفقة أو رحمة، نظرت إلى عينيْ فهد مباشرة من دون أن أتكلم، وأنا أقول له تذكر آخر ليلة قضيتها في هذا البيت، بعدما ضربتني أختك نادية لسبب تافه كوني لم أرد عليها.

نعم، وقتها انتفضت كالمجنونة واندفعت نحوها أضربها وأقضم جسدها بأسناني، خاف الجميع مني، لتنتابني حالة الصرع مجددا ورحت أركل وأنتفض

وأضرب وأصطدم بكل شيء، ابتعد عني الجميع، الى أن وجدت نفسي بفراشي، استيقظت على صوت همهمة، لا أدري ما هذا الصوت الذي كان يدور في غرفتي، كان الظلام دامسا وبالكاد أرى نفسي، لم أنسَ تلك الليلة أبدا وأذكرها جيدا، هناك عند باب الغرفة شعرت أن أحدهم يحاول فتحه، انتبهت ورحت أركز نظري على الباب، كان يُفتح بهدوء، لكن لم أجد أحدا يقف خلفه، المصيبة الكبرى التي جعلتني أنتفض من مكاني أن الباب أغلق بعد ثوان من فتحه، كأن أحدهم دخل وأغلقه خلفه بكل قوة!

عاد صوت الهمهمة والكلام غير المفهوم بالغرفة، هل أنا أتوهم، لا .. فهناك صوت لا يزال يسري بالغرفة، كان كل تركيزي منصبا على تلك الاصوات وذلك الباب الذي أُغلق، الا انني شعرت بشيء خلفي، أدرت رأسي لأرى أمرا غريبا يثير الرعب، سواد يتحرك ومن ثم ارتسم شيء على حائط الغرفة، إنه خيال، خيال شخص أرى حدود جسده، كان يتحرك يمينا ويسارا، لكن من دون صوت، ما هي الا ثوان حتى اختفى، كنت متعبة جدا، الا أن حالة الذعر التي انا بها أنستني كل شيء، لا أدري ماذا أفعل كنت خائفة كثيرا، هنا انتقل هذا الخيال على الجانب الآخر من حائط الغرفة، كان يحرك يداه وكأنه يقف ويجلس، لا لا إنه كان ينظر لي، ومن دون شعور صرخت بأعلى صوتي، وانتفضت بكل جسدي، انطلقت لم أكن أعلم أن جسدي غير مغطى، فتحت الباب ووجدت نفسي في الصالة القريبة من الغرفة، كنت أبكي وأصرخ بأعلى صوتي، حتى خرج الجميع واتجهوا ناحيتي، وأنا أقول لهم هناك شيء موجود بالغرفة، كانوا ينظرون لي باستغراب، بينما انطلقت دلال إلى غرفتها وهي تحمل معها عباءة غطت جسمي المكشوف، والذي لم أكن أشعر به أبدا، صرخت عمتي غنيمة بوجهي:

- شفيج طالعة جذي وتصارخين!

رددت عليها مرعوبة:

- عمتي في أحد بالغرفة كان واقف عالطوفة!

نظرت نادية إلى أمها وهي تضحك بسخرية، وقالت:

- مو قلت لج هالبنت مجنونة.

نظرت لها وقلت بغضب:

- أنا مو مجنونة أنا أصحى منج.

ورحت أبكي وأنا أنتفض، كانت دلال تهدئ من روعي، فيما كنت أنت يا فهد واقفا كعادتك تنظر فقط ولا تحاول إقحام نفسك بأي شيء.

نظرت عمتي إلى بنتها دلال وقالت:

- الحين لازم نوديها المستشفى، الموضوع أصلا صار ما يحتمل، نخليها عندهم نشوف شنو سالفتها، أنا مو ناقصة مجانين.

كنت أنظر لهم وذهني مشدوه ما بين ذلك الشيء الذي ظهر بالغرفة، وكلامهم الذي يوحي بأنني سيقضى علي بالكامل، يومها نمت في غرفة دلال، وعند الصباح لم أجد إلا عمتي تطلب مني الذهاب معها، لم أكن أعرف بالبداية إلى أين، قلبي كان يقول إنها المرة الأخيرة التي سأنام بها بغرفتي في الطابق الثاني، وبالفعل كنت متواجدة بمستشفى الطب النفسي، لم أجد نفسي إلا وأنا بغرفة صغيرة، وأمامي عدد من الأطباء راحوا يسألونني عددا من الاسئلة وغيرها من الأمور، كنت أجاوب عليهم وأنا غير واعية لما أقول، أجوبتي كانت متناقضة لبعضها، قصة ذلك الشيء الذي ظهر فجأة بغرفتي كانت غير منطقية لأشخاص لا يصدقون سوى العلم والحقائق، إضافة إلى قصة ضربي لبنت عمتي نادية والتي حكتها لهم غنيمة، ودعمت هذا الأمر بتقرير عن حالة الصرع التي تنتابني ما بين فترة وأخرى، كلها إثباتات تؤكد للأطباء أنني أعاني مرضا نفسيا، ناهيك عن بعض معارف عمتي بالمستشفى أو بعض المتنفذين الذين استخدمتهم لإبعادي بالكامل عن البيت، ودخولي مستشفى الطب النفسي في سن السابعة عشرة عاما لم تمهلني عمتي حتى أخذ شهادة الثانوية العامة، وعشت بعدها ثماني سنوات من عمري، وأنا بين تلك الحيطان والأفرشة البيضاء، ولم أر بعدها أيا من وجوهكم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

9

ها أنا الآن أعود مرة أخرى إلى بيتي يا فهد، لم أستمتع بانتقام الحياة ممن كانت سببا في شقائي وضياع سنوات من عمري، تمنيت لو أن النيران الآن أمامي وأراهما وهما يستغيثان ويصرخان، هل سأساعدهما أم أنفخ في النار كي تستعر بهما أكثر وأكثر، الانتقام رغم قساوته إلا أن له لذةً لا يشعر بها الا المظلوم.

لم أتوقع أبدا معاملتك الجميلة واستقبالك الرائع يا فهد الذي كان كله حب ومودة. انتهت الجلسة وقررنا تجهيز الملحق، كنت ليلتها نائمة في الصالة حتى موعد تأثيث وتجهيز منزلي الجديد، أنظر للسقف وكأنني أحكي له عما فات، التفت يمينا ويسارا أنظر للغرف وهي تنظر لي، إلا تلك الغرفة المحروقة، أفكر مليا بها.

وأنهض لأتقدم ناحيتها، أتخيل الأوضاع التي كانت بها عمتي غنيمة وابنتها نادية، كيف ماتتا أو كيف احترقتا، فتحت الباب بهدوء كانت رائحة الرماد تملأ الغرفة من كل جانب، والسواد غطى جميع حيطانها، لم يبق سوى الرماد الذي أتى على كل شيء ولفظ بعض الحطام وترك أثرها عليه، آه هذا الدولاب الذي حُبست به، لم يتبقَ منه سوى قاعدته، النيران التهمته بشراسة وكأنها تعاقبه، ولم تبقَ سوى الأرفف التي التي نجت من تلك الحادثة وهي متراصة على أحد الجوانب، قلت في نفسي: لماذا فهد لم يرمم هذه الغرفة، لماذا أبقاها على هذا الحال، هل لا يستطيع دخولها كون أمه وشقيقته توفيتا هنا، لا أدري؟!

خرجت وانا أشعر بضيق شديد، أغلقت الباب مرة اخرى بهدوء، عدت إلى مكاني أحاول النوم، وبينما انا هكذا سمعت صوتا، في البداية لم أتيقن هل ما أسمعه حقيقيا؟

وبعد ذلك عاد الصوت من جديد، انهما اثنان يتحدثان مع بعضهما بعضا على ما يبدو، لم أستطع تمييز الكلام، كأن الصوتين تداخلا على بعض أو ربما معهما أحد ثالث، أحاول رصد مكانه، من هنا .. لا إنه من هنا .. التفت يمينا ويسارا أركز بقوة، الصوت يخرج من هنا، انه من مكان الغرفة المحروقة، أصابني بعض الخوف، للتو انا خارجة منها وكانت خالية تماما، غريب جدا هل أذهب وأرى، لا بد من التحلي ببعض الشجاعة، عن أي شجاعة أتحدث، إنه الفضول الذي يدفعني في كل مرة، أتقدم ناحية الغرفة والأصوات لا تزال تهذي بها دون معرفة ما يقولون، وضعت يدي على مقبض الباب وهي مرتجفة، هل أفتحه أو أعود أدراجي إلى مكاني الذي كنت جالسة به، كنت مترددة، دفعته بهدوء وأنا أبتلع ريقي، لا أرى أمامي سوى الحطام، دخلت خطوتين داخلها

فلم أجد أي شيء والأصوات قد اختفت، أنا متأكدة من أنني سمعت أصواتا غريبة وكلام هذيان .. همهمة .. لا أدري!!

لحظة، هناك صوت مكتوم أسمعه، كأنها صرخة، نعم إنها صرخة لكنها مكتومة، من أين تأتي هذه الصرخات، هل أنا أتوهم طوال الوقت، أدقق بسمعي جيدا، نعم هناك صرخات لكنها مكتومة وبعيدة وتختلف عن تلك التي سمعتها في البداية، المصيبة أن الغرفة لا يوجد بها أحد أبدا، وقفت لأكثر من دقيقة، وبعدها خرجت وأنا أقول لنفسي لربما هذه الأصوات قادمة من البيوت المجاورة، والاصوات المتداخلة التي سمعتها في البداية هل هي ايضا قادمة من بيوت الجيران !!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

10

بعد ثلاثة أيام من وصولي الى منزلي القديم الجديد، تم تأثيث بعض من الملحق الذي سأعيش به بعد اتفاقي مع فهد، لم أتوقع هذه السرعة الكبيرة التي تم بها تجهيز بيتي الجديد، وبصراحة لم أكن أدقق كثيرا بنوعية أو جودة الأثاث، المهم هو العيش بهدوء بعد سنوات الضياع، وفتح صفحة جديدة مع الحياة .. والناس .. ونفسي.

تم تأثيث غرفتين من أصل ثلاث غرف، كنت سعيدة جدا، الاستقرار أمر جميل لا نشعر به إلا إذا فقدناه، وبينما انا فرحة ببيتي الجديد، سمعت رنين هاتف، غريب هل تم إيصال حرارة الهاتف للملحق، كنت متعجبة من وضع الهاتف، لم يبلغني فهد بذلك، تقدمت نحوه ولا يزال يرن، رفعت السماعة بتوجس وقلت:

- ألو .. من على الهاتف؟

كان صوت إمرأة، وعلى ما يبدو أنها بمنتصف العمر.

- مبروك يا شيماء على المنزل الجديد.

بذهول وحيرة رددت عليها وأنا أريد معرفة من هذه المرأة وكيف عرفت سكني في هذا المكان وبهذه السرعة!

- الله يبارك فيك، ثم صمتُّ قليلا وقلت:

- أود أن أعرف من أنتِ وكيف عرفت أنني أسكن هنا .. ومن أين أتيتِ برقم الهاتف؟

سمعت ضحكة قصيرة، وبعدها قالت:

- صحيح أنتِ لا تعرفينني، باختصار أنا فاعلة خير، أود تحذيرك من الصندوق والمفتاح، إذا لم تسلميهما لهم فلن يتركوكِ وحدك، ولا تنسين ايضا الحجر ذا اللون العسلي الصغير!

أصبت ببعض من الدهشة، وقلت لها:

- عن أي صندوق تتحدثين، انا لم أفهم ما تقولين!

انتظرت ردها، لكن لم تكن هناك أي إجابة، إنها أغلقت الخط.

جلست على الكرسي المجاور للهاتف، وأنا أفكر بتلك المرأة وذلك الاتصال الغريب، عن أي صندوق تتحدث، وايضا قالت مفتاح، والحجر العسلي صغير، منهم الذين لن يتركوني، إنه أمر غريب جدا ومحير، الأمر الآخر كيف لهذه

المرأة أنها عرفت رقم هاتفي، وسكني الجديد، إنه لأمر يثير العديد من علامات الاستفهام، أي أسرار تركت عمتي غنيمة ورحلت، أي من المصائب التي زرعتها به، أنا على يقين من أن عمتي لديها العديد من الأشياء التي تركتها من دون إجابات، وها نحن الآن ندفع الثمن.

الغرابة في هذا البيت لم تتوقف من حادثة الهاتف والمرأة الغريبة، وتلك الغرفة المحروقة، بل إنها تواصلت معي، عندما ذهبت الى بيت فهد، أريد أن أشكره على كل ما فعله لي، وعند وصولي اكتشفت أن باب المنزل شبه مفتوح، ولا مجيب من أي أحد لطرقاتي على الباب، وقفت أنتظر لبرهة، دعاني فضولي كعادته للدخول، دفعت الباب ليفتح بالكامل ودخلت بخطوات بطيئة، كنت أنادي وقتها:

- فهد .. فهد .. هل أنت موجود، لا من مجيب..

رحت أسير باحثة عنه، كنت متأكدة من أنه موجود، لأنه لا يترك باب البيت مفتوحا هكذا، سمعت صوت صنبور الماء آتيا من المطبخ، قلت لنفسي أعتقد أنه في المطبخ ولم يسمع صوتي وأنا أناديه.

وبينما أنا سائرة ناحيته، كنت أنادي اسمه، وعند وقوفي أمام المطبخ فوجئت بجسم إمراة أمامي تقف أمام صنبور المياه، وقتها كنت لا أرى إلا ظهرها، وكانت هي على ما أظن تقوم بغسل الصحون أو ما شابه ذلك، قلت متداركة الموقف:

- آسفة جدا على دخولي بهذه الطريقة.

قالت بصوت نسائي مبحوح:

- لا داعي للأسف، أنا زوجة فهد.

أثناء كلامها لم تلتفت نحوي، انطلقت نحوها أريد السلام عليها، لكنها أوقفتني بتلك الجملة عندما قالت لي بصرامة:

- أرجوكِ لا تتقدمي أكثر، أتمنى أن تقفي مكانك، أنا أعرفك جيدا حدثني فهد عنك مرارا.

أصابتني الصدمة من طريقتها الغريبة في الكلام واستقبالها البارد، تراجعت بخطواتي للوراء قليلا، ووقفت عند باب المطبخ، هنا شعرت بأنها تتحرك، وعندما رفعت رأسي رأيتها تتقدم بكل سرعة نحو الباب، وهي تغطي وجهها بشالها وتنظر للأرض، لا أخفيكم أنني شعرت ببعض الخوف، وعند وصولها الى الباب توقفت، ثم نظرت بسرعة خاطفة لي ثم تعدَّتني وانطلقت مسرعة ناحية غرفتها هي وفهد.

ما هذا الاستقبال البائس من زوجة فهد، العديد من الاسئلة وقتها راحت تدور برأسي، لا أعرفها ولا تعرفني ولم يسبق أن تقابلنا، لا أدري هل عمتي كانت تحكي لها عني، وهي خائفة مني تظن أنني مجنونة وتتحاشى الجلوس معي، لو كان هذا تفكيرها من الممكن أن أسبب المشاكل الكثيرة لفهد وربما أهدم حياته الزوجية.

لا تعرفون كمَّ الحزن الذي انتابني لحظتها، لماذا هذا التقليل مني، لتاريخ صنعته عمتي لي، وأنا أختلف تماما عما تقوله عني هي وابنتها نادية، رجعت مرة أخرى إلى منزلي الصغير، أجر خلفي خطوات الخيبة كالمعتاد، دخلت وجلست على أحد الكراسي، أفكر كثيرا وأعيد حساباتي من جديد، حتى وصلت الى فكرة عدم العيش في هذا البيت والسكن بمكان آخر تجنبا للمشاكل، لكن كيف أعيش وأتدبر أموري وأنا لا أملك المال أو حتى الوظيفة، من يوظف فتاة للتو خارجة من مستشفى الطب النفسي، أي سيرة ذاتية أملك تمكنني من الحياة بالخارج وبمفردي، بهذه الأثناء سمعت طرقات على الباب..

انه فهد، كالعادة يقف أمامي وهو يخفض رأسه، قال لي بسرعة:

- آسف جدا يا شيماء على ما حدث من زوجتي، هناك أمر مهم لم أوضحه لك..

دخل فهد وجلس، وقلت له بحزن وخيبة:

- لم أتوقع هذا الاستقبال منها، صدقني يا فهد أريد فتح صفحة جديدة مع الجميع.

نظر لي وقال بهدوء:

- هناك أمر لم تعرفيه ولا بد من توضيحه، زوجتي لا ترغب أن يراها أحد غيري!

نظرت له باستغراب، وقلت:

- لم أفهم ما تعنيه!

رد بعد تنهيدة طويلة:

- وجه زوجتي شبه مشوه يا شيماء، كونها هي الوحيدة التي تم إنقاذها من حادثة حريق الغرفة، والنار تركت أثرها على جزء كبير من وجهها والذي أصبح بعدها مشوها كثيرا، بالكاد زوجتي ظلت على قيد الحياة، النار أكلت نصف وجهها وأجزاء كبيرة من جسمها، ومنذ ذلك اليوم هي لا تقابل أحدا أو تخرج

لأحد، الذين تشاهدهم فقط وتجلس معهم أنا ووالداها، غير ذلك فهي لا تتكلم مع أحد وجها لوجه، وأغلب حديثها في الهاتف.

أصابني الذهول مما قاله فهد، وعن حكاية زوجته والأمر الغريب الذي حدث لها، لا ألومها أبدا .. قاطعني فهد وقال:

- هي طلبت مني توضيح الأمور لكِ، حتى تتفهمي وضعها وتعرفين كيف تتعاملين معها في المستقبل.

هززت رأسي متفهمة ما قاله فهد لي، وقلت له حادثة الهاتف والاتصال الغريب الذي جاءني صباح اليوم من المرأة، قالي لي من الممكن أن يكون أحدهم كان يعبث معكِ من أجل التسلية، لم يكترث أبدا لذلك الأمر، وتعامل معه كأنه حادث من الممكن أن يحصل، هذا الرجل يتساهل كثيرا مع الأمور، وربما ما مرّ به جعله لا يلتفت الى تلك الأشياء ويعتبرها صغيرة.

تعاطفت مع فهد كثيرا، كونه يعيش وهو في عز شبابه مع امرأة مشوهة، لم أرِد زيادة أوجاعه، تقبلت كلامه وقدرت موقفه هو وزوجته، وقدرت التضحية الكبيرة التي يقدمها لها كونه لم يتزوج بأخرى، معقول هذا فهد الذي أعرفه بالماضي أصبح رجلا شهما وقويا ويعتمد على نفسه دون مساعدة أحد، شتان ما بين ماضيك الذي أعرفه جيدا وحاضرك الذي تتعامل معه، أي إرث تركته لك والدتك يا فهد ورحلت، تركتك مع مصائبها، ويا لهذا المنزل الذي كل يوم يكشف لنا مفاجأة جديدة، على ما أعتقد أن هناك العديد من الغرائب تنتظرني، تعلمت من درسي السابق أن الحياة ماضية ولن تقف، تنتظر حزننا او ضيقنا المهم ألا نلتفت لما مضى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

11

استقررت بشكل كامل في ملحقي الصغير، ورحت أمارس حياتي بشكل اعتيادي، تلك الليلة ايضا سمعت جرس باب ملحقي يرن عن طريق جهاز الانتركم الموصول مباشرة بها، قمت بالرد عليه مستفسرة، رد علي صوت نسائي، ذكرت اسمي وكأنها تعرفني، وقالت إنها تود أن تراني، خرجت وعندما رأيتها كانت امرأة على ما تبدو أنها كبيرة في العمر بالكاد تسير، وقبل السماح لها بالدخول قالت إنها جارتنا التي تعيش في نفس الشارع، وأنها كانت سعيدة جدا بعودتي مرة أخرى.

وقالت ايضا إنها كانت تعرف أمي جيدا، دخلت المنزل، وكانت ترتدي وقتها على وجهها «النقاب» ولم تخلعه أبدا طوال ما كانت تتحدث عن ذكرياتها عن أمي وعني عندما كنت صغيرة، وتقول إنها على يقين من أن أمي بريئة من كل التهم التي الصقت بها من قبل عمتي غنيمة، قلت لها إنني نسيت الماضي بأكمله وأريد العيش بهدوء، وشكرتها لحرصها الشديد على الاهتمام بي والاطمئنان علي، لكنها صمتت، وشعرت من خلال كلامها المتقطع كأنها تريد أن تقول لي شيئا.

قاطعتها .. وقلت:

- أشعر بترددك، هل هناك أمر تودين الحديث عنه؟

ردت علي وهي تلتفت يمينا ويسارا، كأنها لا تريد أحدا أن يسمع حديثها معي:

- يا ابنتي إن منزلكم تدور عليه العديد من الحكايات الغريبة، والأغلبية يقولون إنه «مسكون»!

ابتسمت بهدوء، وقلت:

- كيف ذلك يا عمتي؟!

ردت بصوت منخفض:

- منذ موت عمتك وهناك العديد من الأشياء الخارجة عن المألوف تحصل!

قلت لها:

- أشياء مثل ماذا مثلا؟

- هناك أصوات صراخ نسمعها بشكل متقطع كصوت فتاة تصرخ أو صوت رجل يتحدث مع أحد، وجيرانكم القريبون منكم دائما ما يسمعون تلك الأصوات، هنا تذكرت تلك الهمهمة التي كنت أسمعها بالغرفة المحروقة.

ثم أكملت حديثها:

- غير ذلك، هناك خيالات تنعكس على الحائط الأمامي للبيت بشكل متكرر لمجموعة من الأشخاص في منزلكم، الناس كانت تظن أنه انعكاس خيال لمن يسكن هنا، لكن الأمر غير ذلك بتاتا، كونها تحصل في أوقات متأخرة من المساء، والجميع يعلم جيدا أن البيت لا يسكنه سوى ابن خالتك فهد!

لم أرد عليها وقتها وكنت جالسة مندهشة مما تقول، لماذا لم يذكر لي فهد هذه الحقائق، قاطعتني المرأة العجوز مرة اخرى وقالت:

- سامحيني يا بنتي كوني أبلغتك بتلك الأمور، وأتمنى أن تنتبهي لنفسك.

ثم بعدها همَّت بالنهوض وقالت: سأزورك في وقت آخر لأطمئن عليك، ورحلت.

لا أعلم ماذا أفعل، هل أبلغ فهد بكل ما قالته تلك العجوز، أم أصمت وأنتظره هو يقول لي تلك الأشياء، لحظة.. لربما هي تكذب وتهذي ولا يوجد أي شيء مما ذكرت، وكل ما يقال مجرد كلام، والناس ماهرة في تضخيم الحكايات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

12

أجلس الآن بغرفتي وفي يدي مجلة أتصفحها، كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة مساء، والهدوء هو المسيطر على الموقف، كل ما أسمعه صوت أوراق المجلة وأنا أقلبها بيدي، ليقطع الهدوء صوت جديد من الأصوات الغريبة التي أسمعها في هذا المنزل، كأن أحدهم يدب بقدميه فوق سطح الملحق، خاصة أن ملحقي منفصل عن المنزل وسطحه معزول، أغلقت المجلة، وركزت سمعي على ذلك الصوت، وفي رأسي يدور العديد من التخيلات المرعبة، استمرت الحركة لأكثر من دقيقة، وكلي يقين بأن هذا الذي يسير فوق السطح ليس شيئا صغير أبدا، ولن يكون قطة أو فأر أو ما شابههما من هذه الحيوانات التي دائما ما تجد السطوح مأوى لها، إنها حركة إنسان على ما يبدو، شلّ تفكيري ذلك الصوت، لا أدري كيف أتصرف!

انكمشت في مكاني وأنا أرتعد من الخوف، دقائق حتى سمعت صوت طرقات على باب ملحقي، طرقات متباعدة، فكرت قليلا وقلت من الممكن أن يكون فهد الذي كان يسير فوق السطح، ما الذي يريده مني بهذا الوقت!

وقفت وأنا أركز نظري على الباب، تقدمت نحوه بخطوات بطيئة وحذرة، بينما كان سمعي يستشعر تلك الخطوات التي تدب فوق السطح، الطرق عليه لا يزال متواصلا، استجمعت شجاعتي قليلا.. ثم قلت:

- فهد هل تريد شيئا هل حصل لزوجتك مكروه؟

هذا ما كنت أتوقعه، لأنه لا يوجد اي سبب يجعل فهد يزورني في هذا الوقت، أعدت جملتي مرة أخرى، لكن لا مجيب، والطرقات لا تزال تتواصل، وعدم الإجابة جعلتني أطرد من رأسي فكرة فتح الباب نهائيا، جاءت عيني على الهاتف الأرضي، نعم أحتفظ برقم هاتف فهد، تذكرت فهد وهو يقول لي قبل ليلة:

- سأشتري لك هاتفا محمولا.

وتذكرت جوابي الغبي عليه وانا أقول له:

- لا حاجة لي به، فأنا زياراتي محدودة، وهاتف البيت الأرضي يكفي.

تقدمت نحو الهاتف، أخرجت الورقة من حقيبتي، وقبل أن أمد يدي إلى السماعة، رن الهاتف بشكل مباشر ومفزع، قفزت من مكاني بسبب صوت رنينه القوي، الذي قطع حالة السكون والخوف التي كنت أعيشها بتلك اللحظات، رفعت السماعة بشكل سريع وقبل أن أرد:

- هل جهزتِ الأشياء التي طلبتها منك يا شيماء؟!

إنه صوت المرأة التي كلمتني قبل يومين تطلب مني صندوقا ومفاتيح وأمورا أخرى.

رددت عليها بحدة قليلا، بسبب الوضع المرعب الذي أعيشه:

- لا أعلم عن ماذا تتكلمين، ولا أملك تلك الأشياء التي تطلبينها، وإذا حقا كنت جادة نفذي تهديدك لنرى جديتك!!

قالت ببرود:

- سأكون أعقل منك ولا أريد التسرع، وكل ما أريد قوله، إن لديك مهلة اخرى لمدة أسبوعين، رتبي أفكار عقلك وتذكري، ذلك الصندوق الذي أعطاك إياه فهد عندما كنتما صغيرين.

يا لوقاحتها، من أين لها بتلك المعلومات، تذكر أشياء لا أعرفها بتاتا، فهد لم يعطني أي صندوق سواء الآن أو بالسابق، إنها تلفق التهم.

أكملت حديثها قائلة:

- إذا لم تنفذي ما أقوله في المرة المقبلة، لن أقوم بالاتصال عليك، ستريني جالسة بشكل مباشر على سريرك، أما ما سأقوم به ستعرفينه حينها!

صمت قليلا .. وبعدها قالت:

- علي فكرة هناك العديد من الحاجيات المبعثرة على سطح الملحق، أبلغي فهد بأن يعيد ترتيبها لعله يجد الصندوق.

انتفضت من مكاني وأنا أسمع تلك الجملة، هل من المعقول أن تكون هي من كانت فوق سطح الملحق قبل لحظات ؟! هل هي من كانت تطرق الباب؟ كيف ولماذا؟

أغلقت الهاتف بعد هذه الجملة، عاد الهدوء البغيض مرة اخرى إلى المكان، فكرت ماذا أفعل، هل أتصل بفهد وأبلغه، نعم هذا ما علي فعله الآن، رفعت السماعة وضغطت الأرقام وانتظرت قليلا .. يا للخيبة جهاز فهد بهذه الدقيقة مغلق.

ومن ثم عاد من جديد صوت دبيب القدمين فوق سطح الملحق، انطلقت مسرعة نحو سريري لا أعلم لماذا أختار هذا المكان لكي يحميني، وأنا على يقين بأنني لو واجهت هذا الشيء الذي يسير فوق الملحق فسريري لن ينقذني أبدا.

استمر ذلك الدبيب إلى أكثر من ثلاث دقائق، بعدها توقف بشكل نهائي، ثم فكرت بجدية في الذهاب إلى فهد.

لا يوجد حل أمامي الآن سوى الذهاب اليه، لا أريد الانتظار إلى الغد.

ارتديت ملابسي، وكل قطعة من جسدي ترتعش من الخوف، الطريق من باب ملحقي إلى باب المنزل الأمامي ليس بطويل وأحتاج فقط الى دقيقة حتى أصل، لكن بوضعي وظروفي شعرت أن الطريق طويل جدا، وقلت لنفسي من الممكن أن يحدث لي أمر، يعيدني إلى حيث ما كنت فيه، لا أريد العودة مرة اخرى إلى الطب نفسي، لا أريد حالة الصرع تسيطر على حركاتي، تذكرت كلام الطبيب، حاولي الابتعاد عن كل شيء يثير انفعالاتك، حالة صرعك مرتبطة بها.

فتحت باب ملحقي الخارجي، عازمة الذهاب، وعندما رأيت ذلك الظلام الخارجي، شعرت بالخوف الشديد، وتراجعت عن تلك الفكرة، وقلت إن بقائي في مكاني هو الحل المؤقت، وغدا في الصباح سأحكي لفهد كل ما جرى، لعله يجد تفسيرا لكل ما يحدث.

مرت الليلة هادئة من دون أي أصوات أو اتصالات، لم أنم ليلتها أبدا كنت خائفة جدا، أغفو لحظات وأستيقظ على أقل حركة تحدث، سواء صوت الريح وهو يصطدم بالنوافذ أو أي حركة تصدر من الخارج، كنت أنتظر ضوء الصباح بفارغ الصبر، وانا على هذا الحال من إرهاق السهر، غفوت طويلا في الساعات الأخيرة قبل بزوغ الشمس ولم أستيقظ إلا على صوت طرقات الباب مجددا نهضت مفزوعة، واطمأننت وأنا أفتح عينيّ بعدما رأيت أشعة الشمس وهي تخترق جميع أرجاء الملحق، رحت ناحية الباب، استفسرت عن هوية الطارق، لأنتفض مجددا، إنها جارتنا العجوز التي زارتني قبل يومين!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

13

فتحت الباب لأجدها واقفة أمامي بعباءتها السوداء التي تغطي كل جسمها، ونقابها الذي يغطي وجهها، دخلت مباشرة دون إذن مني، كان شكلي غير مهذب تماما ووجهي مرهق بسبب تلك الليلة المخيفة، لتقطع فترة الذهول التي عشتها قليلا .. قائلة:

- سامحني يا بنتي على دخولي المباشر بتلك الطريقة، لقد ضغطت على جهاز الانتركم لكن لم تجيبي، فدخلت من الباب الخارجي الذي كان مفتوحا، بصراحة لم أطمئن لعدم ردك، وظننت انه قد حصل لك مكروه.

لم أجبها أبدا، وكنت مشدوهة البال، ما بين ما حصل ليلة امس، وتلك العجوز الغريبة التي تزورني في أوقات غير مناسبة بتاتا، خاصة أن الساعة كانت تشير إلى السابعة صباحا.

أدخلتها إلى صالتي غير المنظمة، وجلست بعد أن اعتذرت منها بسبب الفوضى التي أعج بها، وهندامي غير المرتب، واستأذنتها للذهاب إلى غرفتي لتغيير ملابسي، دخلت غرفتي وأنا أنتفض من الغيظ بسبب تلك الزيارة التي لم تكن في وقتها بتاتا، كون أن هناك امورا أخرى أفكر بها، حاولت ترتيب شكلي وارتديت ملابس أخرى، استغرق هذا الأمر أكثر من خمس دقائق، وعندما فتحت باب الغرفة فاجأني منظر العجوز، كانت تقف بكامل طولها، على عكس ما رأيتها قبل ثوان وهي منحنية الظهر، وتسير بصعوبة بالغة، والآن أراها أمامي وهي تقف بكامل طولها وتتحرك بخفة، كأنها تبحث عن شيء بين الأرفف، هنا شعرت أنني أقف خلفها، التفتت ناحيتي بسرعة، وبعدها عادت لما كانت عليه أول مرة، ثم جلست على أحد الكراسي .. وقالت بارتباك:

- رغم بساطة منزلك إلى أنه جميل جدا .. نصيحة مني لك دائما اجعلي أبواب النوافذ مفتوحة.

لم أتدبر أمري جيدا في هذا الموقف، ولست من تلك النساء اللاتي يتمتعن بجرأة كافية، لسؤالها عن سبب تفتيشها غير المبرر ما بين تلك الأرفف، وحالتها الجسدية التي تغيرت بدقائق أمامي.

طوال جلستنا كنت أدقق بنظري على كل قطعة بجسدها، المثير للدهشة انها تتصرف بشكل طبيعي جدا، وكانت طوال الوقت تتحدث عن صداقتها مع أمي، اضافة إلى نصائحها التي لا تنتهي والتي دائما ما تثير أعصابي، أشعر من داخلي انها تكذب ولا أعلم لماذا تكذب، كان هناك سؤال يدور في ذهني تمنيت لو كانت عندي الجرأة الكافية لأسألها إياه، عن سبب عدم نزعها نقابها

طوال ما هي جالسة معي، خاصة اننا امرأتين، لكنني لم أتمتع بتلك الجرأة، الجرأة التي جعلتني أخسر العديد من الجولات وجعلتني بنظر البعض مجرد مجنونة، مرت ساعة وبعدها رحلت تلك العجوز وهي تترك العديد من الأسئلة التي لم أجد لها أي إجابة.

فور خروج المرأة العجوز من بيتي انطلقت بشكل سريع إلى منزل فهد، طرقت الباب كثيرا لكن لم أجد أي إجابة، لا أعلم أين ذهب فهد وزجته بهذا الوقت، قلت من الممكن إنهما قد خرجا لقضاء حاجة ما، وقررت العودة في وقت اخر.

الساعة الآن تشير إلى الثانية بعد الظهر، عدت مرة اخرى إلى المنزل اضغط على جرس الباب، وايضا لا من مجيب، بعد ساعتين من زيارتي الثانية، اتصلت على هاتف فهد المحمول، وايضا كان جاهزه مغلقا، لا أدري أين اختفى فهد وزوجته، وليس من عادته أن يغيب هكذا، كنت قلقة من أن يدخل الليل مجددا دون أن أخبر فهد عن تلك الحوادث التي حصلت ليلة الأمس، وبالفعل مر الوقت سريعا وغابت الشمس مجددا، ورحت انكمش مرة أخرى في سريري، منتظرة تلك الأمور الغريبة التي تحدث كل يوم دون أن أجد لها أي إجابة صريحة وواضحة.

صرت أكره الليل كثيرا، لأنه يحمل معه الكثير من المواقف المرعبة، والتساؤلات برأسي تقفز هنا وهناك، أشعر أن أسرار هذا البيت التي تركتها عمتي غنيمة تكاد تقفز بوجهي، وهذا ما حدث بالفعل في تلك الليلة.

عندما كنت أقوم بتجهيز وجبة عشاء خفيفة داخل المطبخ الذي كانت نافذته تطل بشكل مباشر على المنزل، صرخة بعيدة مكتومة الآن أسمعها، أوقفت كل شيء بيدي بمحاولة مني أن أركز بتلك الصرخة ومصدرها، عادت الصرخة مرة أخرى، انها بعيدة ومكتومة، كأنها صرخة فتاة، المصيبة أن مصدر الصوت قادم من منزل فهد، هذه المرأة أذني لا تخطئ أبدا، صوت فتاة كأنها تستغيث وتنادي، الصوت بعيد وقريب، معقول هل كلام تلك العجوز عن تلك الأصوات حقيقي، وها أنا الآن أسمعها.

بقيت لدقائق أفكر وصوت الصراخ المكتوم يزداد، هنا قررت أن أخرج وأتوجه نحو نافذة مطبخي من الخارج، أعلم جيدا أن المكان مظلم وليس أمامي أي حل سوى المواجهة.

تقدمت ناحية مصدر الصوت، الا انه كان يقترب تارة ويبتعد تارة أخرى، شككت في البداية أن الصوت قادم من أحد بيوت الجيران، لكن الحقيقة تقول غير ذلك، فالصراخ يصدر من قلب منزلنا الذي كنت أعيش به في السابق، لا أخفي عليكم أنني كنت خائفة إلى أبعد الحدود، وكم مرة راودتني

فكرة العدول عن فكرة البحث عن مصدر الصوت والعودة إلى الملحق لأحتمي بسريري، بينما فضولي كان هو دافعي الأساسي وراء معرفة من يصرخ بتلك الطريقة المرعبة من داخل المنزل.

أقف الآن أمام باب المنزل على أمل أن يكون فهد وزجته قد عادا مرة أخرى الى البيت، طرقته مرة اخرى وانتظرت، لكن هذه المرة بطريقة قوية لعل أحدهم ينتبه، كالعادة لا أحد يرد أبدا، بقيت لدقائق أعيش خيبة أمل بسبب كل ما يحدث دون أي إجابات واضحة، صراع داخلي يزداد ضراوة وأشعر بحماوته، لدرجة أنني بدأت أشك بنفسي، هل فعلا انا أتوهم وكل تلك الأصوات والأحداث يصنعها عقلي، لا أريد العودة الى ذلك المكان، أريد أن أتحلى ببعض من الشجاعة أريد معرفة كل الإجابات، فالمسألة لا تحتمل أي انتظار.

الصراخ لا يزال يتواصل من داخل المنزل..

تقدمت نحو مقبض الباب الخارجي، وأعدت دورانه في محاولة مني لفتحه، وصدمت أنه مغلق، وبعد حالة الغضب واليأس اللذين سيطرا علي في تلك اللحظة، قلت:

- اللعنة على تلك الأشياء التي تقف دائما أمامي.

قلت لنفسي أحتاج الى بعض من التركيز لكي أفكر بهدوء وأجد طريقة ادخل بها المنزل، من غير المعقول أن أجلس بملحقي وأنا أكاد أموت من الخوف، المواجهة أفضل دواء لداء الخوف.

تذكرت نافذة الغرفة المحروقة، نعم هي الوحيدة التي أغلقت ببعض من الأخشاب، من الممكن فتحها والقفز داخلها ومن ثم التنقل داخل البيت، انطلقت بكل حماس ناحيتها دون تردد، وعند الوصول، رأيت تلك الأخشاب التي وضعت بطريقة غير منظمة، رحت أحركها بيدي محاولة زحزحتها عن مكانها حتى استطعت أن أبعد واحدة بعد مقاومة شديدة، ومن ثم استطعت إبعاد الثانية حتى فتحت النافذه بالكامل، جلبت بعض الصناديق المركونة في الممر، اعتليت أحدها، ثم قفزت بشكل مباشر داخل الغرفة المحروقة!

انقباضة بصدري وخوف ورائحة الرماد هي من كانت تنتظرني بهذا المكان، لا أعلم لماذا كنت أنظر بشكل مباشر الى تلك الخزانة التي حبست بها في السابق، لماذا ننظر الى أماكن الذكريات البائسة وكأننا نريد احتضانها؟ أم أنه عشق مر لا نعرف التخلص منه؟

تقدمت بخطوات حذرة، خوفا من الاصطدام بأي شيء، كون الغرفة مظلمة بشكل كبير، فتحت باب الغرفة المحروقة ودلفت إلى داخل المنزل، أسير الآن في الطابق الأرضي، في بداية الأمر كنت أبحث عن فهد لعله موجود

ونائم في غرفته، ذهبت نحوها طرقت الباب عليها لكن لم أجد ردا، انتظرت برهة، ومن ثم فتحت الباب، كانت الغرفة خاوية وفهد غير موجود.

لا يزال ذلك الصوت يصدر، وكما قلت لكم بصوت مكتوم وبعيد، وما زلت متأكدة أن هذا الصوت يصدر من البيت، الطابق الأرضي لا يوجد به ما يثير الاهتمام، كنت أسير وقتها ناحية الدرج الذي يؤدي إلى الطابق الثاني، تكررت تلك الصرخة، لحظة الصوت يأتي من الطابق الثاني، شعرت بالحسرة التي كادت تفتك بي، كون الذكريات الاخيرة تركتها قبل خروجي بذلك الطابق، موت أمي، ضربات عمتي، الخيالات التي انعكست على الحائط.. كل تلك الاشياء كانت موجودة في الطابق الثاني، لا أريد العودة مجددا لها، لا أدري ما يدفعني لها، هناك أمر غريب يحدث بداخلي، الصراخ لا يزال يتواصل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

14

صعدت أول درجة من درجات السلم بقلق، فضولي يقول لي تقدمي، وخوفي يطلب مني التراجع، وأعلم جيدا أن فضولي هو من له اليد الطولى بمثل هذه المسائل، بعدها عقدت العزم وتقدمت بكل قوتي وأنا أسير بشكل سريع، وعند وصولي لهذا الطابق، انقضت علي الذكريات من دون اي شعور، لم أجد نفسي إلا وأنا أقف أمام باب الغرفة التي توفيت فيها والدتي، دخلت إليها وعيني فاضت بالدموع، الذكريات رغم قسوتها لكن دائما ما نحنّ إليها ونذرف الدموع أمامها.

توقفت ثواني مع فيض مشاعري والذكريات، عادت الصرخة من جديد لكن هذه المرة كانت أقرب، مسحت دموعي، وخرجت من الغرفة أتحسس بحذر ودقة مصدر الصوت، من أين يأتي، الصوت بات قريبا، صوت امرأة، نعم إنه كذلك، لحظة إنه يأتي من تلك الغرفة، معقول .. إنها غرفة فهد بالسابق، الغرفة التي وجدته بها يبكي مع تلك الدمية!!

يا ترى من موجود بهذا المكان، وضعت رأسي على الباب أريد التأكد من أن الصوت قادم من هنا.

- طلعوني من اهني .. في أحد يسمع..

ثم صراخ متواصل..

كانت هذه هي الجملة التي أسمعها طوال ذلك الوقت، لكن لم أكن أفهم الكلمات كون الصوت بعيدا، الصراخ يزداد، وقفت أمام الباب وأنا قلقة وخائفة ومترددة، لا أدري هل أقتحمها وأرى ما هذا الشيء الذي يصرخ بالداخل، العديد من السيناريوهات المرعبة رسمتها برأسي، ولا أريد مواجهة أشياء مرعبة، تذكرت ذلك الخيال الذي ارتسم على الحائط على شكل رأس إنسان وكأنه ينظر لي، في آخر ليلة قضيتها بهذا المنزل قبل دخولي الطب النفسي.

فتحت الباب ببعض من الحذر والتوجس، كالعادة كانت الغرفة مظلمة وبالكاد ترى ما هو أمامك، رحت أدور بعيني داخلها، تحسست الحائط أبحث عن مفاتيح الإنارة ضغطت عليها، أضيأت الغرفة بشكل خافت نوعا ما بسبب تعطل الكثير من المصابيح، رأيت تلك الفوضى التي تعج بالمكان من كل جانب، كان الصوت يواصل مناداته قبل فتحي الباب وعند الدخول توقف، الخزائن والدواليب العملاقة وبعض الأثاث كالكراسي التي انتشرت بالغرفة من دون تنظيم، الأمر الذي أثارني أن هناك خزانة مثل تلك التي حبستني بها عمتي وابنتها نادية قبل دخولي مستشفى الطب النفسي، شعرت بضيق في

صدري، هذه الخزانة تحمل معها العديد من الذكريات السيئة، انتظرت دقائق، أريد سماع الصوت الذي توقف، ما في إلا ثوان حتى عاد مرة اخرى وهو يقول:

-في أحد دخل الغرفة .. تعبت وايد تعبت .. طلعوني من اهني.

رحت أتنفس بشكل سريع، وأركز كل نظري على الخزانة، لا فمن غير المعقول الصوت قادم منها، نفس جملتي التي رددتها بالسابق، هل التاريخ يعيد نفسه؟!

وقفت أمام الخزانة بشكل مباشر، وكنت كلما تقدمت نحوها أشتم رائحة كريهة جدا، هذا الشيء الذي داخل الدولاب كان يضرب أبوابه ويدفعها بكل قوته في محاولة لتحطيمها، لا أخفي عليكم كنت أرتعد وكل قطعة بجسدي ترتجف، هل أفتح الخزانة، فالصراخ لا يزال متواصلا وكان يصحبه بكاء.

- خلاص تعبت طلعوني من اهني ..!!

تذكرت نفسي وشعرت بالاختناق، أحسست بتلك المحبوسة بالداخل والمعاناة التي تمر بها..

انطلقت بسرعة كبيرة ناحية الدولاب من دون أي تردد، لا أدري ما الذي دفعني لاتخاذ قرار مثل هذا بشكل سريع، وفتحت الباب، وأول ما شعرت به تلك الرائحة الكريهة التي انتشرت بشكل سريع في المكان بعد فتحي أبوابه، لم تتضح في البداية من الإنسانة التي كانت بالداخل، بسبب حالتها الجسدية الواهنة، وقذارة ملابسها، ووجهها الذي على ما أعتقد انه لم يصل اليه الماء منذ مدة كونه امتلأ بالأوساخ والبقع السوداء، وشعرها الطويل غير المنظم الذي انتشر بشكل غريب على وجهها، أصبت بالذهول لما أراه، كأنني أرى مسخاً، مدت يدها كأنها تعانق الحرية، ثم قامت بفرك عينيها بشدة كأنها لم تر الضوء منذ مدة، كنت أدقق النظر، هل ما أراه من الإنس أم من العالم الآخر، خرجت وهي تحاول أن تتحسس خطواتها والتذكر كيف تقف، بسبب عدم اتزانها وترنح حركتها، عندها فقدت شجاعتي التي بفضلها استطعت فتح أبواب الدولاب، بعد ما رأت عيني ذلك المنظر، وشعرت ببعض من الخوف مما أرى.

قمت بالتراجع للوراء بشكل بطيء وانا مصابة بالذهول، وعندما وقفت بشكل كامل، وانزاح الشعر من على وجهها، وبدأت تنظر كأنها شبه مغيبة تدقق بي ببلاهة، وانا أدقق بها، حتى بعدها شعرت بالخوف الشديد، أصابتني الدهشة والجزع بنفس الوقت، لا مستحيل ما أراه، إنه أمر بغاية الغرابة، ومن

المستحيل حدوثه، كيف لميت أن يعود للحياة، وبينما أنا أحاول تصديق ما أراه باغتتني بالكلام وهو تقول:

- شيماء .. متى طلعتِ من المستشفى؟!

كانت كلماتها بمثابة الكارثة التي حطت على رأسي..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

15

الصدمة لها تأثيران، إما أن تعيدك الى صوابك او تفقدك عقلك، وربما بعد دقائق سأفقد عقلي بسبب ما تراه عيني، هل الميت يعود للحياة، هذا مستحيل وصعب تصديقه، كنت وقتها أتراجع للوراء من الدهشة وأرتطم بالأثاث وأسقط ثم أنهض، وشفتاي ترتعشان من الفزع، والمرأة التي خرجت من الدولاب بمنظرها المريب، تمد يدها لي بوجه ذابل ومشدوه، وهي تردد تلك الجملة:

- شيماء.. ما عرفتيني؟

وأنا أتراجع بشكل عشوائي حتى اصطدمت بالحائط الذي بات خلفي، ووقفت ببطء شديد وأنا مذهولة، بينما تلك كانت تقترب مني بذاك الشكل المرعب، لا مفر .. وقفت أمامي وهي تمد يدها التي امتلأت بالأوساخ وقفزت منها العروق الخضراء الى وجهي، وتقول:

- تغيرتِ وايد أذكرج صغيرة، معقولة للحين ما عرفتيني؟!

قلت لها وأنا أكاد أموت من الخوف:

- انتي تعرفيني، بس .. بس .. انا ما أعرفج.

لانني غير متأكدة حتى الآن، ولانني ايضا أعرف أن الأموات لا يعودون للحياة!

قالت لي وهي تنزل رأسها للأرض بصوت حزين:

- لكل ظالم يوم وهذا يومي عشان انتِ تشوفيني جذي، الله خذا حقج مني وكاتب تشوفيني مذلولة بهالطريقة، أنا بنت عمتج نادية، أدري متغيرة وايد، انتِ تذكريني يوم كان جسمي مليان، والحين مثل ما انتِ شايفة انا ضعفت من اللي صار فيني..

هنا صرخت بأعلى صوتي بفزع:

- وخري عني مستحيل تكونين نادية، اللي أعرفه إن نادية ماتت محروقة مع أمها.. انتِ مو نادية!

اندهشت نادية مما ذكرت وقالت لي:

- منو قالج هالكلام، اللي ماتت مع أمي محروقة أختي دلال!

وقفت أنظر لها بكل ذهول، وأنا أبتلع تلك الصدمة الجديدة، وقلت لها:

- دلال تدرس بره..

ابتسمت بسخرية وقالت:

منو قالج هالكلام، دلال ماتت مع أمي.

قلت لها وأنا أحاول استيعاب ما يحدث:

- اللي قاله لي اخوج فهد.

هنا تغيرت ملامح وجهها، وشعرت أن الغيظ يكاد يتفجر منها وقالت:

- كل اللي صار لي بسبب فهد، اهو اللي وصلنا إلى هذا الحال، اهو اللي دمر حياتنا، اهو اللي ذبح أمي ودلال، فهد يا شيماء، يعاني من مرض نفسي، وصله إلى هذا الحال.

قلت لها وأنا أضع يديّ على وجهي غير مصدقة لما تقول:

- مستحيل ان يكون فهد قاتلا، او مجنونا، انتي تكرهين فهد، عشان جذي قاعدة تقولين عنه هالكلام، اعرفج زين يا نادية، وما أقدر أنسى اللي سويتيه فيني انتِ وعمتي قبل، أدري إنكم تكرهون فهد من اهو صغير، عشان تشوفونه الحين انسان زين ومتزوج تبون تقطون براسه هالتهمة.

قالت وهي تنظر لي بغرابة:

- فهد متزوج! متى تزوج؟ أصلا فهد مو متزوج، منو ترضى تاخذ فهد.

قلت عليها بعصبية بالغة:

- متزوج وانا شفت زوجته، واهي الوحيدة التي عاشت بعد حريق الغرفة.

هزت رأسها بأسى وقالت:

- من حقج ما تصدقيني، لأنه صج اللي سويته فيج قبل مو شويه، بس الله يخليج اهدي شوي سمعي اللي راح أقوله:

أخذت تنهيدة قبل وأكملت:

- فهد مو متزوج، واصلا ما كان أحد بالغرفة مع أمي غير أختي دلال، والحريق صار بفعل فاعل، وفهد كان يظن إن الغرفة بس فيها أمي وأنا، لكن أنا طلعت قبل دقايق من الحريقة، ودخلت دلال وبعدها شبت النار.

وفهد يعاني من مرض نفسي، بسبب معاملة أمي القاسية معاه، بس ما ندري ان مرضه راح يكبر ويخليه يتصرف بجنون، كنا مطنشين أنا وأمي، ومو عادينه شي، بس انقلب علينا كل شي والنتيجة اللي تشوفينها.

كنت أسمع لها غير مصدقة لما تقول، لكن الأحداث مع تسلسلها واقعية جدا.

وأكملت:

لما طفو النار، أأنا كنت توني رادة من مشوار، وانصدمت لما شفت المطافي والشرطة والناس مجتمعين عند الباب، ورحت بسرعة أشوف شنو اللي صار وفوجئت بفهد يبجي وحاط إيده على راسه، بس بنفس الوقت لما فهد شافني انصدم، وقام وقالي بسرعة .. اللي ماتت مع أمي محروقة دلال!

هنا صمتت قليلا .. وكأنها تسترجع الذكريات مجددا، وقالت:

- كنت مصدومة مو مصدقة، شلون أمي ودلال ما يحسون بالنار، وشلون ما قدروا يطلعون بسرعة!

بعدها بيوم وبالتحديد في الليل .. سمعت صوت بكاء فهد، لا لم يكن بكاء بل كان نحيبا، من داخل غرفته، وبنفس الوقت كان يتحدث مع أحد كأنه يعاتبه، في البداية ظننت أنه يعاتب نفسه، وكان يقول:

- دلال وايد تحبني، أنا اشلون ذبحتها، كله منك كان المفروض اللي تموت نادية، انا شلون سمعت نصيحتك.

هنا شعرت أن الأرض لم تعد تستطيع أن تحمل قدميّ من وهل الصدمة، فتحت الباب بشكل مباشر، ورأيت فهد بذلك المنظر وهو يتحدث مع تلك الدمية.. وقلت له:

- معقول يا فهد انت السبب بالحريقة اللي صارت؟!

كان ينظر لي بغرابة وعيناه تذرفان الدموع بغزارة، شعرت أنه يريد أن يفعل شيئا، وارتسمت على ملامحه صفات جديدة انعكست على وجهه لم أعتد عليها من قبل، ولمعان عينيه كان ينبئ بشيء ما، لم أتوقع أبدا ردة فعله المباغتة، عندما قام مباشرة وبسرعة وانقض علي، وهو يضع يده على عنقي يحاول خنقي، بوجه غاضب، ونظرات البغض والحقد ترمقني.

لم أكن أعرف أنه يملك كل تلك القوة، كدت أموت بين يديه، لولا أنني باغته بضربة في بطنه، ليتراجع إلى الوراء ويتألم، هنا حاولت الهروب من الغرفة، وانطلقت مسرعة أريد الوصول إلى حقيبتي للاتصال بالشرطة وإخبارهم عن كل ما حدث، أريد أن أقول لهم إن فهد هو من تسبب بالحريق، لكنني لا أملك الدلائل، دليلي الوحيد هو الهذيان الذي كان يقوله لتلك الدمية، إلا أنه لحقني ثم شدني من شعري بكل قوة وهو يجرني نحو غرفته، كان يضحك بشدة لا أعلم ما هي المشاعر التي كانت تجتاحه وقتها ويقول:

- انتِ لازم تموتين بالبطيء.. أبي أعذبج بهدوء.

لم أفهم وقتها تلك الكلمات، واستوعبت بعدها عندما قام بحبسي في ذلك الدولاب الكبير، هنا، كنت أصرخ طوال اليوم وأبكي بحرقة، لم أكن أدري أن الظلام هو الخوف بعينه، لم أدرِ انني أحتضن كل أدوات الرعب وانا أعيش بهذا المكان، توسلت إليه ان يخرجني، وعدته بأن أكتم سره، وألا أقول لأحد، إلا أنه رفض كل هذه التوسلات والوعود، كان يحبسني طوال اليوم ولا يخرجني الا ساعة او ساعتين للأكل او قضاء الحاجة، أغلق كما ترين الغرفة من كل جانب، لم يعد هناك أي منفذ للنور الا من بعض الفتحات الصغيرة التي لا تهرب منها حتى حشرة.

الأغرب من هذا كله، الحديث الذي كنت أسمعه طوال الوقت عندما أكون محبوسة ويدخل ويكمل هذيانه بالغرفة، لم يكن أمامي سوى الصراخ، هي طريق النجاة الوحيدة التي تمسكت ببصيص أملها، لعل أحدهم يسمعني، ومن دون فائدة، تخيلت نفسي أنني سأموت في هذا المكان ولن يدري عني أحد.

كنت أسمعها باهتمام وخوف وذهول، وبنفس الوقت كنت فرحة، نعم كنت فرحة هل هذه هي لذة الانتقام التي يتحدثون عنها، إنها تعيش نفس فترات العذاب التي عشتها بالسابق، لكنها بأضعاف مضاعفة..

هنا قفز برأسي أمر وقلت لها:

- انتِ قلتِ ان فهد مو متزوج، عيل الحرمة اللي شفتها بالمطبخ منو، واللي انحاشت مني ورفضت مقابلتي، وفهد قالي إنها زوجته بس نصف وجهها محروق؟

أجابتني قائلة:

- شوفي هذا السرير راح تشوفين عليه بعض الملابس.

تقدمت ناحيته وكان عليه بعض الملابس النسائية، لم أستوعب في البداية، وكنت أنظر اليها وأنظر للملابس في نفس الوقت أريد توضيحا.

قالت نادية:

-فهد في أمرين، الأول غريب شوي والثاني نعرفه عدل، أخوي فهد يعاني من مرض نفسي، هالمرض خلاه شخص آخر، أمي رفضت تعالجه ولم تدخله الطب النفسي لأنها ما تبي أحد يتشمت فيها.

قلت لها بتلهف وفضول:

- شنو هالمرض النفسي.. أبي أعرف.

وفور انتهائي من هذه الجملة دخل فهد علينا، وهو ينظر لنا بكل غل وغضب، نعم لم أرَ فهد بتلك الحدة او بذلك الوجه منذ عودتي من مستشفى الطب النفسي، كان إنسانا طيبا عطوفا، والذي أراه أمامي الآن شخص مختلف بتاتا أمر يدعو للحيرة، من أين أتيت بتلك العينين يا فهد؟! ..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

16

أغلق الباب خلفه وتقدم نحونا بخطوات بطيئة وهو ينظر بكل حقد ناحية شقيقته نادية، بينما أنا كنت أترقب ردة فعله، وبالفعل كانت كما كنت أتوقع، قام بشد شعر نادية بكل قوة، وراح بعدها ينظر لي بعينين يملؤهما الغل، ثم جرها ناحيتي من دون أي رحمة، وهي تصرخ من الألم، وقال لي بصوت مختلف عن الذي كنت أعرفه به:

- يله يا شيماء هذي فرصتج الحين انتقمي منها، الانتقام له لذة كبيرة، جربي انتِ مو خسرانة شيء.

كنت أنظر له وبداخلي آلاف من التنقاضات، أفرح أم أحزن، أبكي أم أضحك، أخاف أم أطمأن، الفرصة أمامي لكي أدفن والدتي من جديد، لكي أعود بنت الخامسة عشرة من عمرها وأكمل تعليمي، أعود وأعيش بين عائلة مستقرة وهادئة، لا أعيش بين الأقمشة البيضاء وتلك العيون التي تنظر لي بعين الشفقة.

قطع فترة تفكيري وحيرتي وترددي قائلا:

- يله يا شيماء خلينا نعيد انتقامنا، كنا صغار وقتها وما انتقمنا عدل، الحين خلينا ننتقم انتقام كبار، أنا خلصت الجزء الكبير من انتقامي، وما بقى جدامي الا هذي..

تحدثت بصوت حائر:

- فهد هذي أختك، لازم تعاملها عدل لو مهما سوت فيك..

نظر لي بكل غضب، كأن كلماتي استفزته، وقال:

- تبين أعاملها عدل واهي كانت تعاملني كأنني مريض بالجرب، لا نظراتها وكلامها ولا حتى مشاعرها كنت أحس فيها، عمرها ما عاملتني معاملة الأخ، حتى أمي كانت تعاملني بكل وضاعة وانحطاط، ولا مرة حسيت اني ولدها، كنت أتخيل كل يوم انها راح تحتضنني وأنا أحتضنها وأبجي على صدرها وقول لها كل اللي فيني، كل هذا ما حسيته، علمتني شلون أخاف منها بس، وما علمتني شلون أحبها، علمتني شلون أخلق عالمي الخاص وكلم وحدتي بس ما علمتني شلون أثق فيها، لين صرت بنظرهم خبل، هالكلمة اللي كنت أسمعها منهم، حتى لما كبرت.

هذي دلال دائما كانت تقولها لي أو تقولها حق أمي.

- تركي عنج هالخبل، لا تردين على هالخبل، هذا مو صاحي لا تكلمينه، من صجج هذا خبل، هذي الكلمات كانت تدور براسي أعيشها أنام وأصحى معاها، لين صرت شخصية غير متزنة مهزوزة، فشلت بكل تجربة خضتها، سواء مع نفسي أو مع الناس، فشلت بدراستي، في تكوين الصداقات، الكل كان يتحاشاني بسببهم، حتى صرت مثل ما انتِ شايفة وحيد، ما أرتاح الا مع نفسي..

نظرت الى نادية وأنا أستسفر منها بعيني عما يحدث، هل ما يقوله فهد حقيقة، اذا كنتم تعاملوني سابقا بطريقة قاسية، فأنا كنت بنت خالكم فقط، لكن هذا أخوكم كيف تعاملونه هكذا !

لا يزال فهد بهذه اللحظة يشد شعر نادية وهو يتحدث بينما هي تتألم..

قلت لفهد بتردد وبعض الخوف:

- يعني كلام نادية صحيح، انت مو متزوج مثل ما قلت لي:

حملق عينيه بكل قوة ناحية نادية ثم نظر لي ولم يرد.

قالت نادية بألم:

- شيماء فهد مريض نفسي لا تصدقينه، ترى قاعد يعيش شخصية يديدة، زوجته اللي يقول عنها، ترى اهو كان قاعد يمثلها!

نظرت لفهد مندهشة مما تقول نادية، وقلت:

- صج كلام نادية يا فهد؟

بعد انتهائي من جملتي هذه، دفع فهد بكل قوة شقيقته ناحية الحائط التي ارتطمت به بشكل مباشر، لتسقط متألمة بسبب قوة الضربة، واقترب مني بوجه جامد من دون اي مشاعر وعيني ماكرتين وقال:

- شيماء الأمور بدأت تتضح لك الآن، بالفعل أنا مريض نفسي، ويا له من مرض، هل جربتِ ان يكون مرضك داءك ودواءك، اعتقد لم تجربي ذلك، أنا أحد هؤلاء الذين صادقوا المرض وعاشوا معه، هل تعلمين يا شيماء أن مرضي كان أنيس وحدتي.

قاطعته بصوت مرتفع:

- فهد ما هو مرضك يكفي ما تقول..

رد علي ببرود وراحة كبيرة كأنه منتشٍ:

- إنه الهذيان يا شيماء، الهذيان مع نفسي، الهذيان مع روحي، الهذيان مع أشياء عديدة صنعتها لي مخيّلتي، شخصيات تموت وتحيا بعقلي، شخصيات تنجح وتفشل، شخصيات تبكي وتفرح، شخصيات قوية واثقة جريئة مندفعة طموحة، هل تعلمين يا شيماء، أن أغلب البشر مصابون بأمراض نفسية غير ظاهرة أو لا يعلنون عنها، لا علاج لها إلا البكاء.

قاطعته نادية وهي لا تزال تتألم:

- فهد مريض بمرض اسمه (اضطراب تعدد الشخصيات) [2] أو ما يسمونه اضطراب الهوية، هذا ما قاله الطبيب الذي راقب حالة فهد قبل وفاة والدتي بشهرين، واكد انه يعاني من هذا المرض وهو متعايش معه بشكل كبير ويحتاج لعلاج مكثف، وتبدو ان حالته متطورة كثيرا عن تلك الحالات الاعتيادية، كونه يستخدم حالته النفسية لصالحه، الا أن والدتي لم تهتم او انها لم تأخذ بكلام الطبيب على محمل الجد، والنتيجة كما ترينها أمامك حالة فهد الغريبة التي لم نجد لها أي تفسير، الا ذلك المرض، وعلى ما أعتقد أن زوجته التي رأيتيها بالمطبخ كما قلتِ ولم تقابلك بسبب حروقها، لم تكن حقيقية، بل تقمصها فهد وأجاد لعب الدور بإتقان، حتى بصوتها، فهو يتمنى أن يكون متزوجا ومستقرا، ولا يستطيع فعل ذلك، ويحققه من خلال تلك الشخصية، او من خلال خياله الذي يعيش بداخله.

فهد تخيل أن زوجته كانت مع والدتي في الحريق لأنه هو من صنعه بيده، أما عن الطريقة التي افتعل بها الحريق بالغرفة تلك فلا أعرفها بتاتا، وأعتقد أن فهد هو من له القدرة على إخبارك.

هنا بدأت أعيد شريط الذكريات قليلا، من حادثة المطبخ، والحوادث التي تلتها، من الاتصالات التي تأتيني بشكل متكرر وتهددني وبنفس الوقت تطلب مني صندوقا وبعض الأشياء التي بداخله، وتلك العجوز التي ادعت أنها جارتنا، من المعقول ان تكون كلها فهد، اذا كان بالفعل ما تقوله نادية حقيقيا، ففهد أجاد الدور بإتقان ولعبه بكل حرفية.

بنفس الوقت كان فهد يستمع وينظر لنا وقال:

- بالفعل ما تقوله نادية حقيقي، وانا كما قلت لك أتعايش مع المرض، بل أصبح صديقي الذي يسليني عند حزني وضيقي، ظهرت أعراض المرض علي عندما شعرت أنني وحيد، لا اهتمام من والدتي التي فصلتني عن والدي، وبنفس الوقت كانت ترى فيني روح أبي، فبدأت هي تنتقم منه بي بطريقة غير مباشرة، التفت ناحية نادية شقيقتي الكبرى، الا أنها هي ايضا كانت أشد قسوة من والدتي، بل كانت المحرك الأساسي التي كانت تعمل على تدميري وتدمير شخصيتي بلا رحمة، لم أجد الا اختلاق تلك الشخصيات التي كانت

بدايتها بكلامي مع الدمى «الألعاب»، وكنت أقول لها كل ما يحزنني ويضايقني من دون اي توقف، كنت أشعر بتلك الدمى وهي تمد يدها ناحيتي وتطبطب على كتفي، وبعض الاحيان كنت اشعر بها تبكي على حالي، كنت أنام وأنا أحتضن تلك الأشكال، كنت أصنع لي حالة من الهذيان المريح

هنا تذكرت ذلك الموقف عندما دخلت على فهد ذات يوم وهو يتحدث مع دمية، وتذكرت كلام نادية الذي قالت قبل قليل عندما دخلت على فهد وهو يعاتب تلك الدمية على الحريق، وموت أخته دلال بغير قصد..

هنا قلت مستفسرة:

- هل كنت أنت يا فهد من يقوم بالاتصال علي وتهديدي، هل أنت تلك العجوز التي قالت لي إنها صديقة والدتي ؟!

ظل صامتا ينظر لي، كأن عينيه تقول إنه هو بالفعل!

قلت وأنا كلي لهفة وفضول: أريد معرفة ما تلك الاشياء التي كان يطلبها فهد مني، وما ذلك الصندوق، خاصة أن كل الدلائل تشير الى أنه هو من يقوم بكل الأفعال.

رد علي ببرود كعادته:

- الصندوق الذي سرقتيه من غرفة والدتي قبل دخولك المستشفى.

نظرت له باستغراب وقلت:

-أنا سرقت صندوقا من غرفة والدتك.. متى؟ وكيف؟

قال لي:

- يبدو انك ايضا يا شيماء تعانين بالفعل من مرض نفسي، يا لوالدتي! لقد استطاعت ان تزرع بكل أحد بنا مرض فريد من نوعه، كما زرعت تلك الاشياء الغريبة التي تحدث بالبيت والمخلوقات التي تطلب مني الصندوق!

رحت انظر له بذهول وقلت:

- فهد هل انت متأكد مما تقول، كيف فعلت ذلك؟!

رد علي بكل ثقة قائلا:

- تذكرين يوم حبستك والدتي بذلك الدولاب .. الذي اتخذته الآن مكانا للسجن الذي وضعت به نادية .. وبالتحديد بعد وفاة والدتك والذي على ما أعتقد مرة عليه أسبوع، طرقتِ باب غرفتي، وكنت تحملين صندوقا خشبيا متوسط الحجم، وقلتِ لي يومها:

- فهد.. ساعدني في إخفاء الصندوق..

كنت خائفا وقلت لك بقلق كبير:

- من اين لك هذا الصندوق؟ ومن اين جئت به؟

رددت عليه بلهفة:

- سرقته من غرفة والدتك، إنها تخبئ به ذلك الحجر ذا اللون العسلي الصغير الذي بحجم حبة الكرز، وبعض المفاتيح، سمعتها ليلة البارحة تتحدث مع ذلك الرجل ذي الصوت البغيض!

أذكر جيدا أنك قلتِ: إن والدتك هددت ذلك الرجل الذي معها بالغرفة في حال عدم جدوى تلك الأشياء التي بالصندوق فلن تتعامل معه، وبنفس الوقت قال لها ذلك الرجل إنها لو لم تستخدم هذه الأحجار والمفاتيح بشكل صحيح فسوف تنقلب عليها الأمور.

ثم صمت وراح ينظر لنادية هو يقول:

- وقتها أعجبت بشجاعة شيماء وتمنيت لو أنني أتحلى بتلك الجرأة، وكيف استطاعت شيماء سرقة هذا الصندوق بعد أن استغفلتكم، وجاءت به لي، كأنها كانت تعلم انني ايضا أحد المظلومين في هذا البيت ولا بد من أخذ حقنا بطريقة ما.

قاطعته مجددا:

- هل أنت متأكد مما تقوله يا فهد؟ هل بالفعل انا قمت بتلك الاشياء؟!

رد قائلا:

- لم تنتهِ الحكاية عند هذا الحد يا شيماء، أذكرك وأنتِ تقولين إن موت أمي ولّد بداخلي أشياء كثيرة، لن أرتاح حتى أنتقم، الانتقام له لذة خاصة تطفئ جميع النيران التي تشتعل بقلبك، وهذه الجملة ظلت بداخلي تنمو كل ليلة، لكن الأحداث سارت على عكس ما نريد، عندما دخلت والدتي غرفتك يا شيماء وهي تبحث عنه وكأنها تعلم جيدا أنك سرقتيه منها، أخبرتك وقتها، شعرت بخوفك بشكل كبير، وهنا قلتِ انك على يقين من أنها لن تبحث عنه بغرفتي، وبعد يوم من تفتيش أمي، جئتيني تريدين الصندوق، وأخذتيه وطلبتِ مني أن أتبعك، ورحتِ تتحدثين مع امرأة عبر الهاتف وطلبتِ منها أن تأتي لك عند المدرسة القريبة من بيتنا، أتذكر جيدا عندما حضرت معك وأتت امرأة بسيارة بيضاء على ما يبدو أنها من نوع شفر طراز بداية التسعينيات، أتذكر وجهها بشكل كبير، كانت نحيلة الجسم، سمراء البشرة، وما يميزها الشامة

الكبيرة فوق شفتها، أخذت منك الصندوق، يومها سألتك عن تلك المرأة، وقلت لي إنها إحدى صديقات والدتك، وستخبئ الصندوق عندها.

توقف فهد عن الكلام وأنا أنظر له غير مصدقة لما يقول! كيف حدث مني كل هذا، هل كنت أعيش فترة اللاوعي، هل الانتقام يصنع من شخوص بشعة تتلذذ بإيذاء خصومها، لا أذكر أي شيء مما قاله فهد، لكنه كان يتحدث بكل ثقة:

أكمل فهد حديثه قائلا:

- هنا انتهت حكاية الصندوق وما بداخله بالنسبة لك يا شيماء، بعد ان قامت والدتي بإدخالك مستشفى الطب النفسي بعدها بأيام، بينما بدأت حكاية جديدة معي، عندما جن جنون والدتي وهي تبحث عن ذلك الصندوق، كانت غير متأكدة انك من سرقتيه، وبنفس الوقت وصلت لهدفها بإبعادك عن البيت، خاصة أنك آخر شخص من عائلة خالي، الآن كل همها هو إيجاد الصندوق، أتذكر جيدا ما يحصل كل ليلة بتلك الغرفة المحروقة، من صيحات وبكاء وصراخ، كانت أمي تعمل في مجال قذر، كونها تتعامل بالسحر والشعوذة، ولها أتباعها الذين يساعدونها من العالم الآخر، وهذا ما اكتشفته بعد ذلك، عندما بدأوا بزيارتي كل ليلة، وهو يتجسدون على حوائط غرفتي بأشكال مختلفة، كنت كل ليلة أموت من الخوف وأحيا، أهرب من غرفتي لأنام عند باب غرفة والدتي، وأحكي لها في اليوم التالي ما أراه، كانت لا تصدق أبدا ما أقوله، وهي تقول جملتها الشهيرة:

- كلام أختك نادية صحيح صج إنك خبل..

هل أهرب من المنزل ؟ هي أول فكرة راودتني بعد شعوري بأن الجميع يتخلى عني، ويخذلونني الف الف مرة، أوجع وأشد الخيبات عندما تأتيك ممن تحب، نعم كنت أحبهم وهم لا يبادلونني نفس الشعور، حتى خطرت في بالي فكرة، السهر طوال الليل وأنام في النهار، أعلم جيدا انها فكرة غبية وغير مجدية، لكن لم أجد أمامي سوى هذا الحل لكي أهرب من تلك المخلوقات التي تزورني كل ليلة، واستطعت أن أستمر أسبوعا على هذا الوضع حتى خانني ذات مرة النوم، واستيقظت وقتها على صوت همهمة حديث متداخل، كأنها أصوات قادمة من جهاز المذياع، متداخلة مشوشة، نهضت وكان الظلام يحاصرني من كل جانب، لأجد ذلك الشكل المتجسد على الحائط بخيال مرعب، الصورة التي أمامي جسد إنسان بشعر كبير منكوش، كنت أراه أمامي يتحرك، بدأت بالارتجاف، لا أعرف ماذا أفعل، والعرق يسيل من أعلى جبيني وأنا أعض بكل قوة على أسناني من الرعب، حتى سمعت تلك الجملة:

- الصندوق يا فهد..

بعدها توقف .. مرت ثوان بسيطة، رحت بعدها أتلفت يمينا ويسارا باحثا عن مصدر الصوت.

قطع فترة الصمت .. وعاد وقال:

- نعلم مكانه لكننا لا نستطيع جلبه، حاجياتنا بداخله، وسنقوم بإيذاء كل من يقترب منه، أنت حلنا الوحيد، لقد فقدنا الثقة بغنيمة لأنها نقضت العهد، وعقابها قريب.

كان صوته بغيضا مرعبا، شعرت لوهلة أنه يتحدث من داخل أحشائه، أو أنه يبتلع حفنة من الأوراق، بعد هذه الجملة اختفى كل شيء، وعادت الأمور الى طبيعتها، تكررت الزيارات على هذا النحو لمدة عام واحد، ولا أعرف كيف أتصرف، والدتي راحت تمر بنوبات عصبية بسببهم، حتى بعدها فهمت ما يريدون، إلا أنني كنت اجهل عنوان المرأة التي خبأتِ عندها الصندوق، وهم لم يتعاونوا معي بشكل جيد، واستغلوا وضعي النفسي وراحوا يستعملونني كأداة لتنفيذ مخططاتهم، كل ما أعرفه عن الصندوق أنكِ أعطيته لتلك المرأة النحيفة سمراء البشرة ذات الشامة الكبيرة، التي قلت إنها قريبة والدتك، لقد استطعت يا شيماء ان تنتقمين من والدتي، بطريقة غير مباشرة.

قاطعته والذهول والحيرة كادا يقتلاني:

- لا أتذكر أي امرأة يا فهد، لا أذكر أي شيء مما تقول ..

أردف حديثه براحة كبيرة:

- لقد انقلب السحر على الساحر يا شيماء، هذي المخلوقات الغيبية التي تعيش بالعالم الاخر، والتي كانت تتعامل مع والدتي انقلبت عليها بسبب ذلك الصندوق الذي سرقتيه، كانوا يزورونني بين كل فترة وأخرى، وهم يسألونني سؤالا واحدا:

- متى تحضر الصندوق يا فهد؟!

حتى بعدها انقطعوا تماما لمدة أعوام، وعندما جاؤوا مرة اخرى وبالتحديد قبل عامين، زارني ذلك الخيال الضخم أو صاحب الصوت البغيض، وهو يتشكل بجسده على الحائط من دون أي ملامح تذكر سوى السواد، ويطلب مني ذلك الطلب الذي فاجأني به في البداية .. قائلا:

- إذا أردت أن تكون من أتباعنا فلا بد أن تنفذ شرطا مهما..

رددت عليه بقلق وخوف:

- ما هو هذا الشرط ؟

قال لي بصوته المرعب:

- معاقبة من خاننا ونقض عهودنا.

جاوبته مستفسرا:

- ماذا تقصد؟ لم أفهم حتى الآن!

رد علي بقليل من الحدة:

- غنيمة نقضت العهد، ولم تحافظ على الصندوق وحان وقت عقابها، وأنت ستكون المنفذ..

شعرت برعشة في كل جسدي وهو يطلب مني هذا الشرط، وقلت:

- كيف أنا أقوم بذلك .. لا من الصعب بل مستحيل.

كنت أجيبه بكلمات وبتلعثم، شعرت بارتباك شديد، وبداخلي أرفض القيام بذلك، لأنها أمي.

قاطعني بشدة قائلا:

- وقتها سنقول لك طريقة التنفيذ.

تحدثت هنا نادية بانبهار:

- معقول يا فهد وافقت على طلبه وقتلت أمي!

صرخ بوجهها قائلا:

- لم أوافق أبدا لأنني لست من قتلها.

هنا وضع يده على وجهه وشعرت أنه ينهار أمامي، ثم قال:

- كان يزورني كل ليلة، كان يلح بطلبه، إلا أنني كنت أرفض بشدة، وكنت أهرب، كل ما أعرفه أن الذي افتعل تلك الحريقة صديقي بدر!

قالت له نادية مستفسرة:

- من بدر هذا، لا أذكر أن لك أصدقاء أبدا.

رد عليها بهدوء وسكينة:

- بدر الذي شاهدتيه في تلك الليلة وأنا أتحدث معه، وألومه على ما فعله بعد قتله دلال.

قالت له بدهشة:

- تقصد تلك الدمية التي على شكل رجل التي كانت معك بالغرفة.

جاوبها .. بعد أن شعرت أنه يمر بحالة غير طبيعية:

- نعم إنه هو .. انتِ لا تعلمين كم هو جريء وقوي وذكي وماكر وغير متردد، ولديه ثقة كبيرة بنفسه، قال لي انه سيقوم بالانتقام لي من والدتي والانتقام منك يا نادية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

17

حلّ الصمت، وبدأت أنا ونادية ننظر الى بعضنا البعض بذهول، وبنفس الوقت ننظر لوضع فهد الذي كان يعيش في عالم آخر وقتها.

وفهمت أن فهد قد تقمص دور رجل مخادع قاتل، قام بتنفيذ هذه الجريمة بأهله، متوهما أنه صديقه الذي لا يخونه أو يخذله، كون فهد بداخله كماً هائلا من الغل والحقد على والدته وأخته نادية، تشكلت كل هذه الأمور وأدخلته حالته النفسية التي بسببها خلق ذلك الرجل الذي حرق الغرفة بكل ثقة ومن دون أي تردد.

قطعت حالة الهدوء، وقلت لفهد:

- وبعد ذلك ماذا حدث يا فهد أكمل حديثك..

قال وهو ينظر لي بملامح خاوية:

- عدتِ الى البيت يا شيماء بتلك الليلة، وبمجرد وصولك عادت الزيارات الليلة تتشكل على الحيطان بأجسادهم السوداء، وهم يطلبون مني معرفة مكان ذلك الصندوق وحاجياته، لم أجد أي طريقة إلا تلك التي أتقنتها بتقمص وأداء أدوار الشخصيات، من خلال اتصالي عليك بصوت المرأة التي قامت بتهديدك، وبتجسدي بشكل تلك المرأة العجوز التي ادعيت من خلالها أنها صديقة والدتك القديمة، وكنت من خلالها أريد اقتحام منزلك والبحث بين خباياه.

قلت له بألم وحرقة:

- كنت تستطيع دخول المنزل من دون علمي كونك تملك كل شيء.

رد علي بثقة:

- نعم كنت أستطيع فعل ذلك، لكن تلك المخلوقات كانت تلح علي بشكل كبير، وانتِ وقتها كنتِ لا تفارقين ملحقك أبدا، فاضطررت الى طلب المساعدة من تلك الشخصيات، من أجل إيجاد ذلك الصندوق وتسليمه لهم.

كانت نادية في هذه اللحظة تضع يدها على رأسها وتبكي بصمت، بعد أن عرفت الحقيقة كاملة، وقالت له:

- كل ما أريد معرفته، كيف أن والدتي ودلال لم يشعرا بتلك النار، ولم يستطيعا الخروج؟!

رد عليها فهد:

- كل ما أخبرني به صديقي بدر انه قام بوضع أقراص منومة في أكواب الماء الموجودة بالغرفة، وقبل خروجه أغلق الباب بإحكام من الخارج، وبعده افتعل الحريق.

قلت له باستغراب:

- من غير المعقول أن يمر موضوع إغلاق الباب على التحقيقات بسهولة.

قال فهد بثقة من جديد:

- ذكر لي بدر أنه بعد تأكده من أن النار قد انتشرت في الغرفة بشكل كبير، قام بفتح الباب مجددا، وأخفى المفتاح، وأنا قلت في التحقيقات أن والدتي كانت نائمة هي وأختي بذلك الوقت، فظن المحققون أنهما أغمى عليهما بسبب استنشاقهما الدخان الكثيف، وماتتا محترقتين، انتم لا تعلمون كمية الذكاء التي يتحلى بها بدر.

أمر مثير للحيرة، ولا يخطر على البال أبدا، أنا أعيش حكاية خارجة عن المألوف.

راح فهد ينظر لنا بنظرات مخيفة وجامدة، وقال بشكل مباشر:

- شيماء .. أين الصندوق؟

يا إلهي ! لقد تغيرت نبرة صوته.

ثم راح يتقدم نحوي بسرعة، ووضع يده على كتفي وضغط علي بشدة، وقال:

- انا على يقين من أنك تعلمين مكان الصندوق، هذه الحركات قد مرت علي كثيرا، من متهمين كثر، يتظاهرون أمامنا بالغباء والغشامة، وهم يخفون الكثير.

- فهد.. لماذا تتحدث بهذه الطريقة؟

قلت له وأنا أحاول التملص من يده.

رد علي بطريقة حازمة:

- عن اي فهد تتحدثين، وابتعدي عن تلك التصرفات التي تحاولين بها إظهار جنونك، انتِ تتحدثين مع محقق معروف ومشهور في البلد، سأنتزع اعترافاتك بشكل سريع، كل ما أحتاج اليه الوقت فقط!

رحت أنظر ببلاهة ودهشة ناحية نادية، بعد التغييرات المفاجئة التي حدثت على صوت فهد وطريقة كلامه وحتى ملامح وجهه!

قالت نادية وهي تحاول تحذيري:

- انتبهي يا شيماء فهد دخل بالحالة النفسية، إنه يعيش دور ضابط شرطة على ما يبدو.

دفعني بعيدا عنه، ومد سبابته محذرا إياي:

- أمامك الآن أقل من خمس دقائق، إذا لم تخبريني أين الصندوق، فسأعاقبك بشدة انتِ وشريكتك بهذه الجريمة، كل ما أريد معرفته، كيف سرقتِ الصندوق وأين أخفيتيه؟

ثم خرج من الغرفة وأغلقها بعد ذلك.

كنت بحالة توهان وضياع كبير لا أعرف كيف أتصرف !

قالت نادية بأسى:

- كان طوال فترة حبسي في هذا الدولاب يتصرف معي بهذه الطريقة، إذا تقمص شخصية طيبة كان يعاملني بكل رفق، ولكن إذا تقمص شخصية شريرة، كنت أعاني منه كثيرا، لا أعلم إلى أين ذهب الآن؟!

قلت لها بذعر:

- هل سيحبسنا في ذلك الدولاب مرة أخرى؟

بقينا في تلك الغرفة أكثر من ساعة، ونحن حائرتين لا نعلم ماذا نفعل، بينما أنا كنت أنظر الى محتوياتها بكل دقة بشكل كامل أبحث من خلالها عن منفذ، لأنه أغلق الباب بإحكام، بينما النوافذ كانت مغلقة بطريقة غريبة ومحكمة بنفس الوقت لا يستطيع أي شخص الهرب منها.

هنا سمعنا صوت خطوات، كأن أحدهم قادم ناحية الغرفة، وفتح الباب ليدخل فهد وبيده كومة من الحبال، ثم أخرج شيئا من خلفه قد جمد الدماء بعروقي، لقد أخرج مسدسا صغيرا، وبعدها وجهه نحونا وقال:

- كل ما أريده منكما أن تنفذا ما أقوله، وطلب من نادية أن تربط يدي بإحكام.

راحت نادية تنفذ ما يريده من دون تردد، وكنت أنا وقتها أرتجف من الخوف، ولم أنطق بأي كلمة، حتى بعدها وجدت يدي خلف ظهري وهي مربوطة، ليتجه بعدها ناحية نادية ويطلب منها الدوران ويقوم هو بربط يديها هي الأخرى .. ليقول بعدها:

- سيرا أمامي.. وأي تصرف غبي لن تجدا مني بعدها الا والرصاص الذي بالمسدس مستقرا بجسديكما.

نفذنا طلبه بكل هدوء وخوف، ورحنا نسير حسب أوامره، لنصل بعدها إلى الطابق الأرضي، لندخل إلى تلك الغرفة المحروقة، وأغلق الباب ليقوم بعدها بربط خرقة على عينينا، ليختفي كل شيء أمامي، لم أعد أرى شيئا، ولم نعد نسمع سوى صوت خطواته حولنا .. ثم قال:

- لن تخرجا من هذا الحبس الا بعد أن تقول لي شيماء عن مكان الصندوق.

فور انتهائه من تلك الجملة، سمعت صوتا كأنه يفتح شيئا، ثم بعد ذلك قام بدفعنا وطلب منا التقدم، مشينا خطوات كأننا خرجنا من الغرفة المحروقة ودخلنا غرفة أخرى قريبة منها، وراح بعد ذلك بفك الرباط الذي وثق به يدينا، ثم أغلق الباب وخرج، وقتها تحدثت مع نادية وأنا أحاول نزع الخرقة التي وضعها على عيني، لحظات واكتشفت أنني بغرفة صغيرة نسبيا ليس بها سوى ثلاجة صغيرة قديمة نوعا ما، وعلى ما يبدو الإنارة بها خافتة جدا، وهناك في زاويتها يوجد حمام مهمل، والغرفة من الواضح أنها مهملة كثيرا ولا يوجد بها أي أثاث سوى الوسائد والأفرشة التي ننام عليها، بينما يكاد السقف القريب أن يلمس رؤوسنا إذا وقفنا، كنت خائفة كثيرا في أيامي الأولى بهذا المكان، والعديد من المرات أشعر أنني سأختنق من الضيق، قالت لي نادية بيأس:

- على ما يبدو أننا سنقضي باقي عمرنا في هذا المكان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

18

أعلم جيدا أنني أطلت عليكم، أنا أعيش بهذه الغرفة منذ مدة طويلة، من الممكن سنة أو سنتين وربما ثلاث، نعم لقد فقدت الإحساس بالزمن، وأوقات الليل والنهار، فقدت كل شيء يربطني بالعالم الخارجي، عيني لم تر النور منذ مدة، كنت عاجزة عن فعل أي شيء أو إيجاد أي طريقة تخلصنا مما نحن به، وبالفعل عندما نشعر بالعجز نتسلى بالدموع، وهذه كانت تسليتنا أنا ونادية التي استسلمت سريعا، بينما أنا كنت على يقين من أن هناك حلا سيخرجنا من هذا السجن.

كان فهد يزورنا كل يومين أو ثلاثة أيام أو أربعة، لا أعرف متى بالضبط، كان يجلب لنا الطعام والماء، وبعض الطلبات الخاصة بنا، وبالفعل كما كانت تقول نادية كان كل فترة يدخل علينا بشخصية جديدة، إما طيبة أو شريرة أو حنونة، والتي من خلالها كنا نستغل تلك التغييرات التي تطرأ عليه، ونقوم بطلب بعض الحاجيات، والتي كان بينها هذا الدفتر الصغير والقلم، التي بت أكتب من خلاله مذكراتي، والعديد من المرات أسمع أصوات رجال ونساء وبعض المرات أصوات أطفال مختلفة تكون قريبة منا لكنها مكبوتة وغير واضحة، وأظنها صادرة من الغرف القريبة منا، السؤال هنا: من هؤلاء الناس الذين نسمع أصواتهم؟!

كانت نادية بمجرد ما أن تسمع هذه الأصوات تقوم بالصراخ وتطلب مني مشاركتها، وبمجرد ما نقوم بذلك يتوقف كل شيء وبعدها بفترات بعيدة كنا نسمع أصواتا جديدة، ونعود ونكرر ما نقوم به لكن من دون أي جدوى، فهد كان يجلس في الغرفة المعتمة قليلا، مرات لفترات طويلة ومرات أخرى لساعات، وكالعادة كان يدخل بتلك الشخصيات المتفاوتة، لكنه كان حذرا منا كثيرا ويتعامل معنا بوعي كامل إذا ما تطلب الأمر.

ذات مرة دخل علينا وهو بحالة ذعر شديد، بحالة لم نره بها من قبل، وكان يقول بخوف كبير:

- إنهم بالخارج إنهم قادمون سيقتلوننا في أي لحظة!

كان هندام فهد غير مرتب، وشعره غير منظم، كأنه للتو خارج من عراك مع أحدهم ويلهث بسرعة كبيرة.

راح بعدها يصرخ علينا، حتى شعرنا بموجة هواء قوية ملأت الغرفة، أنا هربت بسرعة واختبأت داخل الحمام الصغير وبيدي هذا الكتاب وأغلقته علي من الداخل، لا أعرف كم مرّ من الوقت وأنا في هذا المكان، كل ما سمعته بالخارج صراخ فهد، وصيحات أخته نادية وبعدها توقف كل شيء، عمّ الهدوء

المكان مرة أخرى، كنت مترددة، هل أخرج لأتأكد من عودة الأمور الى طبيعتها أم أبقى قليلا !

كل ما أسمعه الآن خطوات تتقدم ببطء ناحية الحمام، خطوات أقدام تدب على الأرض بشكل هادئ، إنه يحاول فتح باب الحمام.. لا أعلم ماذا أفعل، هل أفتح البـ.....

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

19
خالد يكمل الحكاية

انتهت الحكاية عند هذه الجملة، أأغلقت الكتاب وأنا مصاب بالذهول والدهشة، إنها فعلا حكاية خارجة على المألوف، والأغرب من ذلك ما ستعرفونه بعد قليل، لأن ما كتبته شيماء انتهى، إلا أنه بدأ من جديد معي...

أخذت الكتاب ونهضت بسرعة، كانت الساعة تشير الى الرابعة فجرا، وكل ما حولي ساكن، كان كل تفكيري منصب على شيء واحد، ستعرفونه بعد قليل، قمت بتشغيل السيارة وانطلقت بها مسرعا متوجها إلى بيتي الذي أعيش به أنا وأبي، وهناك العديد من التساؤلات التي تدور في ذهني، أهمها هل من المعقول أن يحدث ذلك ؟!

أمر هذه الدنيا محيِّر، وللأقدار طرق غريبة وعجيبة للإجابة عن الاسئلة، ولعل من أهمها الصدمة والمفاجأة.

انطلقت مسرعا إلى مخزن البيت الذي دائما ما نخبئ به حاجياتنا القديمة، رحت أبحث مثل المجنون وأنا أدفع بتلك الأكياس والعلب وهي تتساقط أمامي، أريد إيجاد شيء واحد فقط .. الصندوق .. الصندوق الذي تحدث عنه فهد، والذي تسأل عنه تلك المخلوقات الغريبة التي ذكرتها شيماء بالقصة.

نعم .. إنه نفس الصندوق الذي كانت والدتي تنظر له قبل وفاتها بدقائق، وهي تقول لي إن الخرزة والمفتاح بالصندوق .. نعم هذا ما قالته والدتي قبل وفاتها ولم أذكره في بداية الحكاية.

إنها أمي صاحبة الشامة المرأة النحيلة سمراء البشرة، وسيارتها «الشفر» البيضاء هي من كانت تملكها في تلك الفترة، فهد كان يقصد أمي .. يا إلهي ما هذه الصدف التي تجرنا جرا إلى أقدارنا، الآن انكشفت الحقيقة وعرفت من أين جاءت أمي بذلك الصندوق ومع من كانت تتحدث الهاتف.

وبعد جهد كبير بالبحث، أزحت تلك الخرقة القديمة ليظهر أمامي ذلك الصندوق متوسط الحجم، وقفت لبرهة وأنا أنظر له، ويتعالى من صدري لهاث سريع، وبداخلي أقول ماذا فعلت بنا، كم أنت جبان .. تفعل فعلتك وتختبئ، حملته وخرجت من مخزن البيت، فتحته لأتفاجأ بوجود مفتاح عتيق نوعا ما، وبجانبه ذلك الشكل البيضاوي الصغير الذي بحجم حبة الكرز ذي اللون العسلي المتموج، رحت أنظر له بكل عناية وأدقق به، لكن لا أعلم ما السر الذي يحمله بداخله !

أعدت تلك الخرزة الصغيرة والمفتاح داخل الصندوق، ورجعت مرة أخرى إلى المنزل الغامض، وأنا على يقين من أن عودة هذا الصندوق للمنزل ستحل العديد من الأمور وربما ستفك الألغاز العالقة على حيطانه، الفجر يشق طريقة ببطء شديد، بينما أنا كنت سريعا في العودة..

دخلت إلى المنزل مرة أخرى، لكن هذه المرة وأنا أحمل بيدي الصندوق، لا أعلم لماذا كنت متعبا وقلقا في نفس الوقت، كنت أسير بسرعة نوعا ما، ولم أتباطأ الا عندما توقفت أمام الغرفة المحروقة، فتحت بابها ودخلت لها بخطوات حذرة، وأنا أحمل بيدي الأخرى الصندوق، وفور دخولي بالكامل بها شعرت بوجود أحدهم معي بذلك المكان.. نعم أشعر به جيدا لكنني لا أراه، هو نفس الشعور الذي شعرت به قبل وفاة والدتي..

ثوان حتى انتشرت موجة قوية من الهواء بداخلها، هنا التفت يمينا ويسارا ببعض من الارتباك الذي أسقط الصندوق من يدي، لتسقط منه تلك الخرزة وهي تتدحرج أمامي، بينما المفتاح ظل بداخله، انطلقت بحركة سريعة ناحية الخرزة وأخذتها وأعدتها للصندوق مرة أخرى، وأنا أدور برأسي بحرص وقلق، لم تكن الغرفة مظلمة كثيرا، وكنت حائرا ماذا أفعل هل أترك الصندوق بهذا المكان وأرحل، وبينما أنا أعيش مع هذا التردد، بدأت أسمع أصواتا متداخلة، أحدهم يتحدث كأنه يهذي أو على ما يبدو أنها وشوشة، لم أفهم أي كلمة من تلك الأصوات، عادت موجة الهواء وهي تصطدم بأثاث الغرفة المحترق، أشعر بها جيدا وهي تحوم في زواياها، ثم بعد ذلك بدأ شيء يتكون على الحائط .. نعم إنه خيال راح يترسم أمامي بجسم إنسان ضخم غير واضح الملامح، وسواد كبير يتشكل على الجدران، شعرت بانبهار كبير وأنا أرى ذلك الشيء أمامي، ومن دون أي شعور قلت بقلق:

- من انت ؟

لم يجبني في البداية.. ثم أعدت سؤالي مرة أخرى..

هنا تكلم بصوت بشبع مبحوح وقال:

- اترك الصندوق وارحل..

شعرت بضيق شديد وأنا أسمع ذلك الصوت، لا أخفي عليكم أن الخوف بدأ يتسلل بداخلي، استجمعت شجاعتي من جديد، وقلت:

- ما الضمان بخروجي سالماً من هذه المكان، أنت قمت بقتل فهد وشيماء ونادية، ويبدو أنك ستقتلني ايضا:

لم يرد .. كان الخيال المرتسم على الحائط جامدا أمامي كأنه ينظر لي، وكان رده بتلك الموجة التي عادت من جديد للغرفة، لكن هذه المرة بقوة شديدة

والتي راحت تحطم بعض الأشياء وتقذف بها في كل مكان، مشكّلة دوامة والحطام المتناثر يتطاير من كل جهة، هنا علمت انه غضب جدا، اتجهت ناحية الباب محاولا الهروب والخروج من الغرفة، وعند وصولي للباب اكتشفت أنه مغلق، حاولت فتحه مرارا لكنه كان مغلقا بإحكام شديد، كنت أتنفس بسرعة كبيرة، التفت ناحية الخيال المرتسم على الحائط لم أره مكانه هذه المرة، قلت لنفسي أحتاج الى التفكير من أجل إيجاد حل سريع لهذه المشكلة.

ولم يخطر في بالي الا هذا الحل، وهو أن أضع الصندوق بوسط الغرفة والعودة مجددا إلى مكاني، منفذا طلب صاحب الخيال المرتسم على الحائط، رحت بسرعة أنفذ ما خطر على بالي، وعدت أدراجي ناحية الباب وأنا أكرر محاولاتي لفتحه أو حتى كسره، لم تتوقف بعدها موجة الهواء الشديد، بل زادت بشكل مريع، كأنني حبست داخل عاصفة شديدة، ومن قوتها انني لم أر أي شيء أمامي، واضعا يدي على عيني لحمايتها من قوة الريح التي انتشرت بكل مكان، وكانت تحطم كل شيء أمامها ليرتطم بعدها شيء من ذلك الحطام المتطاير برأسي بشدة، لا أتذكر إلا أنني سقطت على الأرض من قوة الاصطدام، فقدت على إثرها وعيي.

لا أدري كم من الوقت مرعلى فقداني للوعي، ونهضت وأنا أسمع ذلك الصراخ المكتوم.. إنه صوت فتاتين، لا أميز الصوت بشكل جيد، مرة أسمعه قريبا ومرة أسمعه عن بعد، ونهضت بتثاقل شديد، ما زلت أشعر بألم في رأسي، وضعت يدي على مكان الجرح، لأكتشف بعض الدماء شبه الجافة، رحت أنظر لمكان الصندوق الذي وضعته وسط الغرفة، وعندما دققت النظر لم أجد أي شيء.. اختفى الصندوق !

أشعر بدوار في رأسي، وعقلي تائه لا يدري ماذا يفعل، كان صوت الصراخ لا يزال متواصلا، تذكرت شيماء ونادية، من غير المعقول أنهما لا تزالان محبوستين هنا !

تقدمت نحو باب الغرفة، وكل ما أتذكره انه كان مغلقا بإحكام قبل قليل، المفاجأة هنا أن الباب كان شبه مفتوح على عكس ما تركته، خرجت من هذا المكان البائس ورحت أبحث ما بين الغرف المجاورة عن مصدر الأصوات، ثم صعدت للطابق الثاني، كان كل شيء جامدا.. الغرف جميعها خاوية لا أجد فيها سوى ذلك الأثاث القديم المتناثر، بينما كان الصوت يقترب كلما اقتربت من الغرفة المحروقة، دخلت مرة أخرى اليها، لم أجد أمامي سوى ذلك الأثاث المحروق، ومن المستحيل أن يحبس أحد بهذا الأثاث ولا أراه كون كل شيء مكشوفا ولا يستطيع حتى قط الاختباء به من دون أن أراه، أمر مثير للغرابة!

لا بد من التركيز بشدة من أجل إيجاد مكان تلك الأصوات، قمت بعدها بوضع أذني على الحيطان أريد تحسس مكان الصوت وأستشعره، وأدور بكل زاوية من الغرفة، وبالفعل كان هناك جزء واحد من الغرفة كلما اقتربت منه كان الصوت يزداد وأشعر بقربه، كان ناحية دولاب ضخم كبير احترق الكثير من أجزائه، لكن كيف يحبسون بهذا الدولاب وليست به أبواب ولم يتبق منه سوى هيكله، بقيت أمامه واقفا أدقق النظر بتركيز عال، والصوت لا يزال مستمرا.. صراخ عالٍ متفاوت!

لحظة طرأ على بالي شيء مهم، وهذه الاحتمالية من الصعب أن تكون حقيقية، ولا يقوم بها الا شخص خارق الذكاء، تقدمت ناحية الدولاب مرة أخرى رحت أزيح تلك الأخشاب المتهالكة التي تحيط به، حيث تحطمت بسهولة، والذي لفت انتباهي بعد كل هذا هي قطعة الخشب الوحيدة السليمة الملتصقة بداخله دون أن يلحقها أثر الحريق، خاصة أنها لم تكن مثبتة بأي جزء من الدولاب، لأحركها بيدي محاولا إخراجها منه، وفور تحريكها صدمت لما رأت عيني، كان هناك باب على ما يبدو أنه حديدي صغير مربع الشكل كأبواب خزائن البنوك مخفي خلف الدولاب، لا يدخل أحد إلا إذا انحنى، كان أمرا يثير الحيرة، ماذا خلف هذا الباب الذي أراه؟!

في البداية تظن أنه جزء من الدولاب، لكنه باب يؤدي إلى اتجاه آخر، دائما هناك خلف الأبواب حكايات محبوسة لا تقال، ولا أدري أي حكاية خلف هذا الباب الصغير.

ازدادت دقات قلبي، وأنا أُخيِّر نفسي ما بين فتح الباب أو أعود أدراجي وأرحل، وأترك أسرار هذا البيت مدفونة خلفي، بينما عقلي يلح علي بإكمال تلك المسيرة التي من الممكن أن تكون حمقاء ومتهورة.

عزمت وتقدمت، ثم انحنيت ومددت يدي ناحية مقبض الباب وهو من النوع الذي يسحب سحبا لكي تفتحه، مثل ستارة المسرح، وليس بطريقة الأبواب العادية، لم يكن مقفولا، بل بمجرد ما سحبته بقوة فتح معي وأصدر صوتا ضعيفا بعد احتكاك الحديد بالحائط الذي التصق به، لم أر شيئا في البداية بعد ما فتحت الباب سوى الظلام، بقيت واقفا لثوان، حتى انطلقت تلك الصرخات من جديد، لكن هذه المرة بوضوح شديد، والتي قطعت خيط الصمت الذي كنت أعيشه، هنا انتبهت وناديت بصوت:

- منو داخل.. وليش قاعدين تصرخون؟

رد علي الصوت الذي كان أكثر وضوحا:

- انت منو .. الله يخليك ساعدنا وطلعنا من هالمكان..

ثم سمعت بعد ذلك نبرة مختلفة عن الصوت الذي تكلم في البداية، وكأنه يتحدث مع الفتاة الاخرى:

- شفيج يمكن هذا فهد ..

ردت عليها الصوت الآخر:

- انتِ ما تعرفين فهد .. دايما يدخل بسرعة.

هنا تذكرت حكاية شيماء وتيقنت أن شيماء ونادية لا تزالان محبوستين وهما أحياء على ما يبدو، بعدما اعتقدت أنهما ماتتا بسبب ذلك الخيال الذي اقتحم عليهما الغرفة في آخر ما كتبته بالكتاب.

تقدمت بعد ذلك بكل ثقة واطمئنان لأدخل من ذلك الباب الضيق والسري، هنا رأت عيني شيئا مفزعا، إنني أرى أبشع فتاتين بالعالم، جسمهما نحيل وملابسهما امتلأت بالقاذورات، وجهين شاحبين وشعر متناثر، غير ذلك الرائحة الكريهة، كأنني دخلت للتو إحدى حاويات القمامة، وضعت يدي على أنفي محاولا تحاشي تلك الرائحة، فيما كانت الفتاتان تنظران لي ببلاهة وتعب شديد، تقول إحداهما قاطعة لحظة الصمت:

- انت منو وشلون عرفت مكاننا؟!

قلت لها مستفسرا:

- أنتِ نادية أم شيماء؟

نظرت الاثنتان الى بعضهما البعض بتعجب! وقالت إحداهما:

- تعرف اسمينا بعد.

هنا لم أعرف كيف أشرح لهما سبب معرفتي بهما، وبعفوية أخرجت الكتاب من جيب الجاكيت الداخلي، لألحظ عيني إحداهما التي برزت بانبهار، وقالت:

- كتاب مذكراتي وين لقيته، هذا الكتاب خذاه مني فهد بعد ما فتح باب الحمام علي..

حكيت لها كل ما حدث بشكل مختصر بعدها..

ثم انتبهت وقلت لها بشكل سريع:

- بس وين فهد مو موجود معاكم؟

هنا ردت نادية وهي تحكي ما حصل قبل اكثر من شهر:

- دخل علينا فهد وهو بحالة ذعر شديدة، ويردد تلك الكلمات..

- تلك المخلوقات تلاحقني وتهددني، تريد الصندوق، ستقتلني..

صرخ بعدها بعصبية وغضب قائلا:

- أين شيماء.. هي التي تعرف مكان الصندوق ؟

كانت شيماء وقتها تختبئ بالحمام الذي أمامك الآن، خائفة وترتعد من فهد.

الذي راح يضرب بكل قوته على باب الحمام يطلب منها الخروج، وعندما لم يجد اي استجابة منها، قام بكسر الباب وأخرجها عنوة، وراح يهددها بالقتل اذا لم تدله على مكان الصندوق، بينما كانت شيماء تبكي وتقول إنها لا تعرف ولا تذكر أي شيء من الذي يقوله، كانت شيماء تمسك بيدها هذا الكتاب، ليأخذه فهد منها عنوة.

وبعد فورة الغليان الكبيرة التي حصلت بالمكان، تغير فجأة حال فهد، وصار يتحرك بطريقة غريبة، كأن أحدا يضربه، أو يشده من ملابسه، ليسقط على الأرض، وبدأ يلتفت حوله بخوف، لحظات حتى شعرنا أن أحدهم قد قام بصفع فهد على وجهه، بعد أن سمعنا صوت الصفعة وهي ترتطم بكل قوة على خده، بعدها رأينا فهد يجر من قدمه ويسحب على الأرض، كنت أعلم وقتها أن فهد لم يكن يمثل، لأنني شعرت بذلك الذي يسحبه، وبنفس الوقت لم أر أي شخص يجره، كل ما نراه رجل فهد مرفوعة إلى الأعلى ويسحل على الارض، وجسمه كان يضرب بجميع الأشياء التي يمر عليها، إلى أن وصل الى الباب الخارجي، هنا توقف فهد الذي بقي مرميا على الأرض يلهث بشدة، كان يمد يده ناحيتنا وآخر جملة سمعناها منه:

- ساعدوني .. إنهم يريدون قتلي.

ثم بعدها جُر بنفس القوة التي سحب بها أول مرة، واختفى من أمامنا، ويغلق الباب، هذا الباب الحديدي بوجهينا والذي لا يفتح الا من جهة واحدة، وبعدها لم نر فهد أبدا، وبقينا طوال هذه الفترة نعيش هنا على ما تبقى من الطعام، بينما كنا نشرب الماء من صنبور الحمام.

قاطعتها وقلت:

- تعنين أن فهد قد مات!

قالت نادية:

- هذا الذي أظنه، لأنه لم يأتِ بعدها.

هززت رأسي غير مستوعب ما تقولاه، حالة شرود تمكنت مني، الآن كل هذه الأشياء حدثت بالفعل، إنها أشبه بقصص الخيال، طلبت منهما تجميع

حاجياتهما للخروج من أجل الذهاب للشرطة وحكاية كل ما حدث لهما، بهذه الأثناء سمعنا صوت خطوات تدب على الأرض، كأنه أحدهم قادم نحونا، ثوان حتى رأينا أحدهم يخرج من تلك الفتحة ويقف أمامنا بكامل جسده، هنا صرخت شيماء وقالت:

- فهد إنه فهد يا نادية لم يمت كما ظننا !!

رحت أنظر الى الفتاتين وأنظر بنفس الوقت لفهد، الذي قطع شرودنا وأدخلنا في حالة صدمة، وقال:

- يبدو أن الحقيقة الآن قد انكشفت لثلاثة أشخاص، وهذا الذي لا أريده، والسر عندما يعرفه ثلاثة أشخاص لا يصبح سرا.

قلت محاولا استيعاب ما يحدث من جديد:

- من أين جئت، وكيف كنت تختبئ طوال هذه الفترة؟

ابتسم بوجهي بكل ثقة وقال:

- أنت أذكى من سكن هذا البيت، خطأ واحد غفلت عنه سبّب لي كل هذه المتاعب، هو أنني لم أخبئ هذا الكتاب بشكل جيد.

تقدمت لحظتها ناحية فهد، الذي بدوره قام بإخراج مسدس صغير من جيبه وصوّبه ناحيتي قائلا:

- توقف مكانك لا تتقدم أكثر من ذلك.

شعرت بالخوف، وابتلعت ريقي، أيقنت أنني الآن في موقف لا أحسد عليه، قاطع فهد حالة خوفي وقال:

- الذي يتمادى كثيرا في أمور لا تعنيه لا بد أن ينال العقاب المناسب، هل تعلم يا خالد أن دورك قد انتهى بمجرد إحضارك الصندوق، لكن هناك نوعا من الفضول يقتل صاحبه أو يضعه بمواقف لا يحسد عليها، وانت من هذا النوع، كونك رحت تبحث عن الحقيقة وكشف الأسرار، وأنت لا تعلم أن هناك نوعا من الحقائق لو تم الكشف عنها ستؤذي صاحبها.

التفت ناحية شيماء ونادية، ثم قال:

- هاتان الفتاتان اللتان أمامك مسجونتان هنا لأسباب مختلفة، إحداهما آذتني، والثانية تدخلت فيما لا يعنيها مثلما تفعل أنت.

قاطعته بسؤال مباشر:

- كيف استطعت أن تبقى هنا من دون أن يكشفك أحد، مع علمي أن هذا البيت بيع أكثر من مرة، وسكنته العديد من العوائل؟

رد علي بابتسامة ماكرة:

- سؤال جميل جدا، بعد أن حبست هذين الجميلتين هنا، شعرت أنني بحاجة للمال، خاصة أنني لا أعمل، فقد بعت البيت لأحد الاشخاص بثمن جيد، كوني المالك والوحيد الباقي هنا من العائلة، فالجميع في نظر الحكومة أموات، خاصة أنني أملك توكيلا كاملا بجميع الثروة المتبقية، وبنفس الوقت كنت قد رسمت خطة جيدة للبقاء في البيت بعد بيعه.

قلت له باستغراب:

- ما هي هذه الخطة؟

رد بهدوء:

- الملحق الذي كانت تسكن به شيماء، هناك غرفة بنيت بداخل مخبأ سري صغير يناسبني، مخبأ لن يخطر على بال أي أحد منكم، ولأنني أعلم أن أي شخص سيسكن هنا لن يلتفت إلى الملحق بشكل مباشر، وسيكون آخر اهتماماته، وهو ما يعطيني فرصة كافية للقيام بألاعيبي.

سكنت به، في الوقت نفسه قمت بعمل شائعة أنني اختفيت .. أنت تعلم أن الناس يصدقون الشائعات ولا يصدقون الحقائق، وهو ما حدث بالفعل، حيث انتشرت الشائعة في الشارع بشكل سريع ولافت، وأضفت الى الشائعة أن أختي دلال التي يظن الناس أنها تعيش بالخارج، قد قامت ببيع البيت بعد أن علمت ان كل عائلتها قد اختفت، وايضا الناس دائما ما يتنافسون على زيادة قوة الشائعة، وهو ما جعلها تأخذ العديد من الأشكال، الشخص الذي اشترى البيت مني لم يستطع العيش به أكثر من أسبوع، بعدما كنت أقوم بالصراخ طوال الليل، ناهيك عن صراخ تلك الفتاتين، وكنت أيضا أقوم بتقطيع ملابسهم ورميها بالحديقة أو فوق السطح أو أوزعها على الغرف، وبمجرد ما يصحون يتفاجؤون بهذه الأحداث، إضافة الى أنني كنت أغلق الأبواب بشكل قوي، كنت أتحرك بسهولة ويسر وأتبع مبدأ الصدمة والمفاجأة، ويربطونها بما يحدث من صراخ، وهو ما جعل أي شخص يسكن هنا يهرب منه بعد فترة قصيرة جدا.

كل هذه الأحداث جعلت هذا البيت يأخذ شهرة لا مثيل لها بأنه مسكون، وبالفعل هو مسكون وأنت تعلم أن هناك أناسا يسكنون بنفس الشارع يعلمون جيدا ماضي أمي، وهو ما جعل الشائعات تؤكد أن سحر غنيمة قد انقلب عليها، وتلك المخلوقات قد حرقتها هي وابنتها، إضافة إلى أن ابنها قد

اختفى، وربما قد خطفه الجن، الى أن ظهرت أنت فجأة، سكنت هنا بعد غياب طويل، بصراحة لم أتوقع أنك بهذه القوة، لم أجد أي وسيلة لإخافتك، كونك كنت تسكن وحدك وبمكان واحد، وهو الأمر الذي جعلني اخطط بحيلة من أجل طردك من هنا كما فعلت بما قبلك.

قاطعته نادية وقالت:

- فهد.. هل انت تعيش احدى الشخصيات وتقص علينا حكاية من خيالك؟

قال لها بثقة:

- يا لهؤلاء البشر، لا يصدقون الشخص الذي يتعامل معهم بوجه واحد، ويحترمون الشخص الذي يعاملهم بألف وجه.

نظرنا جميعنا الى فهد الذي صمت وراح ينظر لنا بكل حدة وغل..

هنا قلت لفهد بلهجة هادئة:

- صدقني يا فهد لن أخبر أحدا بما حصل هنا، فقط دعني أخرج، ربما بقائي هنا سيجلب لك المتاعب، خاصة أن لي أهل سيبحثون عني.

ضحك بصوت عال، وقال:

- سيقولون قد خطفه الجن!

ثم أعطانا ظهره، وبعدها قام بسحب الباب الحديدي بكل قوة وأغلقه، ولم يبق بذهني سوى صوت صريره، رحت أنظر للفتاتين غير مصدق ما يحدث!

قالت نادية:

- سنموت هنا يا شيماء، سنموت هنا يا شيماء..

كم أنا غبي، كنت أبحث عن الخوف، عندما وجدته حبسني، يبدو أنني سأموت معكم.

مرت فترة طويلة وأنا محبوس بهذه الغرفة الصغيرة، نقتات على بقايا طعام قليل من المتوقع أنه سينتهي بأي لحظة، نادية قريبة جدا من الموت، بينما شيماء دائما ما تنتابها حالات من الصرع طوال الوقت تبدو صامتة، فيما أنا أبتلع حسرتي، على ما يبدو أنني في الأيام المقبلة سأمر بنفس حالاتهم، وكم أتمنى لو أنني أموت قبلهم، حتى لا ابقى وحدي بهذا المكان الموحش، أحيانا نحتاج للموت أكثر من الحياة.

انا أعلم أنه في ذات يوم سيجد أحدكم هذا الكتاب، ويدخل هذا القبر الكبير، وبنفس الوقت سيجد هياكلنا العظمية مرمية على ارضية هذا المكان، كل ما

أريد قوله لكم: إن ما حدث لي ولكل الموجودين هنا حقيقي ومرعب.. فصدقني أننا الآن جميعنا نعيش في حالة هذيان، لأننا نعيش حالة تعب، وأقسى حالات التعب هي التي دائما ما تنتج عن هذيان..

صدقوني كل ما قرأتموه ليس مجرد هذيان ..

اذكروني ...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخاتمة

أجبرونا على ارتداء الأقنعة، بعدما كنا نكتفي بوجه واحد، لنموت كل يوم رغم حياتنا، تدفننا كل يوم رمال الخيبات والخذلان، كنا لا نريد التصنُّع ونتعامل معهم بعفوية، كنا نظن أن أفعالنا الحقيقية ستشفع لنا، لنختار مكانا في قلوبهم، لكنهم كانوا يستغلون ما نفعل، ويطعنونا بلا رحمة، فأصبحنا اليوم نرتدي تلك الأقنعة من أجل إسعاد ضمائرهم الميتة، وقتل ما تبقى فينا من إنسانية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

عن الكتاب..

إهداء

مقدمة

1

2

3

4

5 حكاية شيماء

6

7

8

9

10

11

12

13

14

15

16

17

18

19 خالد يكمل الحكاية

الخاتمة

الفهرس..

Notes

[1←] الدسمة هي إحدى مناطق الكويت القديمة، والتي تقع في محافظة العاصمة، شيدت بعد اكتشاف النفط، وكانت تسمى سابقا بالمنطقة (واو).

[←2]

اضطراب تعدد الشخصيات أو مرض انفصام الشخصية أو اضطراب الهوية الفصامي هو مرض نفسي؛ حيث يظهر المريض بعدة هويات وشخصياتٍ، وهو نوعٌ من أنواع مرض الفصام، ويظهر المريض بشخصيتين على الأقل، وتكون هذه الشخصيات منفصلةً تماماً عن بعضها البعض في الصفات، حيث قد يظهر مرضٌ معين عند شخصيةٍ منها وتعاني شخصيةٌ أخرى من مرضٍ آخر، كما أنَّ كل شخصية تنقل الشخص إلى عالمٍ مختلف عن العالم الذي تعيشه الشخصية الأخرى، أي أنّه يفقد الإدراكَ بالوقت والوعي. يترافق غالباً مع هذا المرض فقدانٌ للذاكرة بشكلٍ مؤقت أو لمدىً طويل، وكلّ شخصيةٍ لا تعلم عن الأخرى وعما تفعله، كما قد يصل الاختلاف بين الشخصيات إلى امتلاكِ كل شخصيةٍ لصوتٍ مُعينٍ وقوة نظرٍ وسمعٍ، بل قد تختلف في نسبة الذكاء، وقد تعمل كل شخصيةٍ بعملٍ معيّنٍ مختلف تماماً عن عمل الشخصية الأخرى فقد يكون كهربائيا وفي الشخصية الأخرى كاتباً.